الفصل الرابع

التراث الفلسطيني أهميته وأنواعه

الفصل الرابع

التراث الفلسطيني أهميته وأنواعه

تمهيد

تعد دراسة التراث الفلسطيني والتعرف على مكوناته وأنواعه من المجالات النادرة في ظل الظروف الخاصة التي يعيشها الشعب الفلسطيني رغم أهمية هذا الموروث الثقافي والمادي في زيادة وعي وإدراك المجتمع الفلسطيني بجذوره وأصوله الثابتة منذ القدم وبما يجسده هذا التراث من حفاظ على الهوية الوطنية الفلسطينية ودعم القضية الفلسطينية وتأكيد الحقوق وإثباتها بالأدلة المادية والثقافية التي تحاول عوامل التطور والتقدم الصناعي والتكنولوجي العمل على نسيان وإهمال هذا التراث وبالأخص من قبل عدو يحاول بكل السبل طمس ومحق هذا الموروث.

وساهم التراث الفلسطيني في الحفاظ على تماسك وترابط الشعب الفلسطيني في مختلف المراحل التي عاشها وشكل سد منيعا لكل محاولات التغيير السلبية في العادات والتقاليد وأصبح له طابع خاص ميزه عن باقي الثقافات.

ويستمد التراث الفلسطيني قوته وجذوره من التراث العربي الإسلامي الأصيل الذي ينبع من الثقافة العربية الإسلامية العريقة التي تكونت على مدى السنين لتحافظ على مكونات وقدرات الأمة التاريخية والمادية والفكرية.

ولقد عبر الرأي العام الفلسطيني في مراحل تاريخه الطويل عبر الأزمنة المتعاقبة عن نفسه من خلال تراثه المادي والمعنوي (الثقافي) من خلال الأهزوجة والموال والدبكة والمثل والأغنية الشعبية وميجانا وعزافا وظريف الطول تتناول في كل ذلك كافة أصناف الحياة بأشكالها المختلفة النضالية والعاطفية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والأخلاقية وقضايا المرأة وغيرها [1].

ويتميز التراث الفلسطيني بتعدد أنواعه من تراث مادي وفكري ولفظي وفني وتنوع مجالاته المختلفة من عادات وتقاليد وملابس وأزياء شعبية وتراث معماري وأماكن مقدسة ومأكولات شعبية وعلاج شعبي وأمثال شعبية وأغاني وحكايات شعبية ساهمت في رسم ملامح الثقافة والهوية الوطنية الفلسطينية التي اتسم بها الشعب الفلسطيني على مر التاريخ لتأكد جذوره في هذه الأرض.

---

(١) عبد الفتاح حميد. **مدير عام حماية المستهلك بوزارة الاقتصاد الوطني الفلسطينية ومهتم بقضايا التراث**. مقابله بتاريخ ٢٠٠٨/٣/٩ بمكتبه بالوزارة بغزة.

بداية الاهتمام بالتراث الفلسطيني

بوادر الاهتمام بالتراث في فلسطين بدأت مع الدكتور توفيق كنعان بعد الحرب العالمية الأولى إذ قام بزيارة ما لا يقل عن ثلاثمائة وخمسة وعشرين مزارا دينيا وشاهد عن كثب الاحتفالات والاعتقادات المتعلقة بهذه المزارات وكتب حول ذلك وجاءت بعده (هيلما جرانكفست) الفلندية عام ١٩٢٥م ووضعت دراسة رائدة حول التراث الشعبي في قرية ارطاس إحدى قرى قضاء بيت لحم بفلسطين، لكن الاهتمام الفعلي الواسع بجمع التراث الفلسطيني ودراسته بدأ بعد النكبة عام ١٩٤٨ داخل فلسطين وخارجها فظهرت عدة مؤلفات ولا يزال بين الحين والأخر يظهر مؤلف جديد أو دراسة جديدة ، وهذا الاهتمام المتنامي بدراسة التراث الذي يمارس دوراً في توجيه الشعب وفي تقرير نمط حياته وتفكيره وتصرفاته ويعكس الكثير من حياة الشعب وأفكاره ومشاكله وأحاسيسه [١].

لذلك ليس غريبا على هذا الشعب أن يمارس طقوسه الحياتية من فرح وحب وزواج وقتال وزرع وطلب علم وهجرة للعمل في بقاع الأرض، وفي نفس الوقت يحمل إصرارا على استعادة حقه مهما قدم من تضحيات، وهو الشعب نفسه الذي ورث عن أجداده هذا التراث الغني بألوانه الزاهية وسجل فيه صورة حياته اليومية ومعتقداته وبطولاته وكلها حملت سمات الطبيعة الفلسطينية الغنية بألوان الفرح وليس أقرب مثالاً على ذلك من أن تتأمل الأرض الفلسطينية في فصول السنة الأربعة حتى ترى ذلك التباين والتنوع فيما تكتسبه في كل فصل من ألوان [٢].

ولا شك أن كتب الرحلات العربية هي إحدى تصنيفات كتب التراث العربي التي عقدت الآمال على فرز التراث الشعبي من محتواها لإغناء الدراسات العربية بمنابع التراث الشعبي العربي الأصيل ويمكن أن نعثر على جزئيات من نماذج التراث الشعبي كما هي في بر الشام وفي دائرة أضيق يمكن العثور على جزئيات تلتصق بالمدن والقرى والبوادي الفلسطينية فنحن إذن يمكن أن نستخلص التراث الشعبي الفلسطيني في الرحلات العربية المشهورة من ثلاثة أطر[٣]:

١-إطار التراث الشعبي العربي بعامة، فتكتشف ما يكون اعتباره جذورا عربية للتراث الشعبي الفلسطيني كما هو في هذه الرحلات.

٢-إطار التراث الشعبي لبر الشام فنرى من ما يطبق بالفعل في فلسطين باعتبارها جزاء من بلاد الشام.

---

(1)http://www.islamonline.net/arabic/arts/2002/04/article13.shtml

(2)http://www.shala.ca/articles/15.htm

(٣) فؤاد عباس. **مدخل إلى الفولكلور** (القاهرة: دار الموقف العربي، د.ت) ص٥٤-٥٥.

٣- الجزئيات الخاصة بفلسطين مباشرة.

ولا تنفصل الثقافة الشعبية الفلسطينية عن الثقافة الشعبية الكنعانية (بلاد الشام) بل ترتبط ارتباطاً خاصاً بها ، بصفتها شجرة مشتركة لكن أهمية فلسطين في شجرة العائلة المشتركة تكمن في كونها المركز لأسباب تاريخية وجغرافية، وقد تم إضعاف هذا المركز في القرن العشرين بالتحديد منذ مأساة ١٩٤٨، حيث تم تدمير التطور الطبيعي للمجتمع الفلسطيني ، مما ساهم في خلق ثقافة شعبية هجينة خصوصا لدى الفلسطيني في المنفى، وبطبيعة الحال لا تنفصل الثقافة الشعبية الفلسطينية عن محيطها العربي ، بل بالعكس فقد كانت هذه الثقافة مفتوحة ومؤثرة عربياً وعالمياً وخصوصاً أنها تنطلق من حضارة أممية قديمة هي الحضارة الكنعانية،وقد كانت القدس مركز ثقافات العالم حتى عام ١٩٤٨[١].

وفي ظل التطورات التي شهدتها القضية الفلسطنية سعى الاتحاد النسائي العربي لرفع مستوى التراث الوطني وتعزيزه ودعمه في مجال العادات والتقاليد التي تُعنى بالمرأة من خلال الجمعيات الخيرية النسائية للحفاظ على التراث الفلسطيني[٢]، إذ ان التراث الفلسطيني نشأ من داخل المنظمات النسائية وأصبح لديهن اكتفاءاً ذاتياً من خلال تحرير أنفسهن أقتصادياً بتوفير مستلزمات الحياة الكريمة من خلال العمل المتميز في مجال التطريز والزي الفلسطيني الذي يشكل رمزاً لتراث الشعب الفلسطيني [٣].

ولكل شعب من شعوب العالم حضارته الخاصة به التي يعتز بها ويخلدها، والشعب الفلسطيني الذي هو جزء من الشعوب العربية ، يعتبر بتراثه الذي يشير إلى حضارته التي توارثها عن أجداده جيلا بعد جيل ، والتي ساهمت في زرع بذور الحضارة العالمية التي توالدت ونمت إلى أن وصلت إلى ما وصل إليه الإنسان من الخلق والإبداع الذي نراه في عصرنا الحاضر [٤].

وتعددت أنماط التراث الفلسطيني وتنوعت في مسكنه وملبسه وحتى مأكله وما يربط بينها من تراث فكري وثقافي، وأصبحت له سمات تراثية تركزت في جانب غير تلك التي صاغت ابن الأرض الزراعية السهلية اختلفت جميعاً مع ابن البيئة

---

(١) محمد السهلي. **مرجع سابق**. ص٢

(2) Peteel, Julie (1991) **Gender in Crisis: Women and the Palestinian Resistance Movemeent**. New York: Columbia University pres , p546.

(3) Weir, Shelagh (1989**) Palestinian Costume**. London: Britsh Museum Publications Ltd, p213.

(٤) ناجي عبد الجبار. **دليل متحف التراث الشعبي الفلسطيني** (رام الله. جمعية إنعاش الأسرة، ١٩٩٦) ص٤.

الجبلية وكذا البحرية وهذا الاختلاف كون عنصر التبادل كل وفق ما فاض عن حاجته داخل إطار حدود بيئاتهم المحلية أولاً ثم تخطت ذلك حدود الأقاليم الطبيعية مع أقاليم أخرى مجاورة، فبدأ معها المؤثرات التراثية الأخرى التي ربما أضافت أو سلبت أشياء من وإلى تراثهم لتخرج من نطاق الجغرافيا المحددة الثابتة لدور التاريخ المتحرك لتحدث المتشابهات [١].

ويعيش الشعب الفلسطيني في مرحلة الانتفاضة المباركة بمعناها الشمولي المتضمن جميع مناحي حياته السياسية والاجتماعية وحتى السيكولوجية كمقدمة حتمية لنيل استقلاله والعيش داخل كيانه وعلى أرضه الفلسطينية استمراراً لما كان عليه أجداده، والانتفاضة التراثية هي شعاع من إشعاعات الانتفاضة الشاملة يرفع شعارها شعبنا بإيمان واثق بأن من لا تراث له لا حضارة له ومن لا حضارة له لا تاريخ له ومن ليس له تاريخ ليس له وجود [٢].

الفولكلور الفلسطيني تعبير عن الهوية الوطنية

بدأت فكرة الفلكلور الفلسطيني كوسيلة مهمة جدا لعرض قضية فلسطين من خلال التراث الذي أعتقد أنه سلاح ووسيلة مهمة جدا لتقديمها لنبرز أذنا شعب حضاري وثقافي، كان لدينا تراث وفلكلور غني جدا والذي حاول آخرون طمثه وأخذه منا حتى بطريقة أو بأخرى وأن الفلكلور هو وسيلة مهمة لإخبار العالم عن الشعب الفلسطيني وعن حضارة فلسطين [٣].

وبدأ تأسيس الفلكلور الفلسطيني في الأول من تموز عام ١٩٦٦ في مدينة البيرة – محافظة القدس بفلسطين المحتلة وقام نمر سرحان بالمجهود الأساسي في إعداده بالمشاركة مع ابن عمه الشهيد عاطف سرحان، وبدأت أعمال المسح الأولى في منطقة الضفة الغربية من الأردن في عام ١٩٨١ تم اعتماد أسلوب جديد للبحث عن التراث بشكله المعاصر عبر مجهودات لجنة موسوعة الفلكلور الفلسطيني ولجنة اليوم العالمي للتراث الشعبي الفلسطيني[٤] وكان الفولكلور الفلسطيني واحداً من أهم

---

(١) سليم المبيض. الجغرافيا الفولكلورية للأمثال الشعبية الفلسطينية. **مرجع سابق**، ص٥-٦.

(٢) سليم المبيض.**ملامح الشخصية الفلسطينية في أمثالها الشعبية** (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠) ص٥.

(3) http://www.aljazeera.net/NR/exeres/12BEA6CE-19B7-4E92-94FE-1781CE318823.htm

(٤) **أبحاث مؤتمر المأثورات الشعبية في ١٠٠ عام**. مشروع بحث التراث والثقافة الشعبية والتغيير الاجتماعي. سلسلة أبحاث المؤتمرات. ج الأول. ط١ (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٢) ص ٢٦٦-٢٦٧.

العوامل التي جعلت الفلسطينيين يستكشفون ذاتهم الوطنية، ويشعرون بهوية متميزة، أما العوامل الأخرى فكانت: [1]

١- ظهور حكومة الانتداب البريطاني على فلسطين ١٩٢٢ – ١٩٤٨، والتي أعطت البلاد شكلاً سياسياً يمتد من رفح إلى الناقورة ومن يافا إلى أريحا.
٢- الهجمة الصهيونية على فلسطين، التي تمثلت في الهجرة اليهودية التي بدأت تتصاعد منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وما رافقها من إعلان بريطاني على أن البلاد هي "وطن قومي لليهود" والرد الوطني الفلسطيني على الهجمة والذي جاء في سياق ما اسماه (ارنولد توينبي) في كتابه دراسة للتاريخ "حسنات الأحوال المعاكسة" ذلك أن الهجمة الغربية الوحشية على البلاد، والتي تمخضت عن قيام إسرائيل، وطرد السكان العرب الفلسطينيين حفزت الشعب الفلسطيني على المقاومة ورفض الاحتلال ومصادرة الأراضي، وأعطتهم فوق كل شيء الشعور بالهوية الوطنية المتميزة عن باقي أقطار الوطن العربي.

وهكذا كان الوعي بالتراث الثقافي الشعبي (الفولكلور) وظهور الوضع السياسي المتميز (حكومة الانتداب) على قطعة أرض محددة ومقاومة الغزو الصهيوني، وابراز العوامل التي تضافرت لتشكيل الهوية الوطنية للشعب الفلسطيني، وفي مرحلة تاريخية معينة، تفاعلت هذه العوامل مع بعضها البعض وتداخلت ليشكل الشعور بها جميعاً، شعوراً بتوحد الهوية الفلسطينية، ذلك أنه بعد الهزيمة التي مُني بها العرب بعد حرب عام ١٩٦٧ بدأت تتولد مشاعر وجدان جمع الشعب الفلسطيني" في المحاور التالية:

١- هزيمة العرب في الحرب أذهت التواكلية الفلسطينية على الأمة العربية والتحرير.
٢- الاحتلال أعاد توحيد أراضي الثمانية وأربعين، وأعاد لفلسطين وحدتها الجغرافية (تحت الاحتلال) وتماس عرب الداخل مع عرب الضفة، وبمقدار أقل مع عرب الشتات الذين أصبح بإمكانهم ضمن ظروف معينه القدوم إلى فلسطين.
٣- رافق ذلك عملية الاستقراء السياسي[2] للفولكلور الفلسطيني وان كان قد أشار له بصورة غامضة باحثون فلسطينيون، ومستشرقون، ربطوا بين الفولكلور والجغرافيا ولم يربطوا بين الفولكلور والهوية الوطنية.

---

(1) http://www.dr-arzz.net/archive/index.php/t-1574.html

(٢) نمر سرحان. **موسوعة الفلكلور الفلسطيني**. ط٢ (عمان: وزارة الإعلام الأردنية، ١٩٨٨) ص١٤.

٤- بعد إنتهاء حرب ١٩٦٧، أكتشف الفلسطينيون، أنهم لم يعودوا للتواصل مع شعبهم الذي بقي في الجليل والمثلث والنقب بعد حرب عام ١٩٤٨، بل أيضا صاروا على تماس مباشر مع الاحتلال الإسرائيلي، الذي شكل بالنسبة إليهم نقيضاً قومياً يرمز للاحتلال، ولذلك فان ردة الفعل عند الشعب الفلسطيني أخذت أشكالاً عدة، من بينها المقاومة عبر الكفاح المسلح وإبراز مكونات الذات الوطنية وإبراز الفولكلور- المأثورات الشعبية- والمادية والمعتقدة وتداخلت المأثورات الشعبية مع الكفاح المسلح تداخلاً لا تنفصم عراه، "الحطة المرقطة" التي ميزت الفدائي الفلسطيني (وكانت زيا فلاحياً معروفاً) استمرت في التعبير عن هوية شعبية ولكن هوية مقاومة أيضا، والثوب الفلسطيني المطرز كان علامة مميزة لتقاليد فنية شعبية فلسطينية، ولكنه أصبح أيضا رمزاً لهوية فنية للشعب، وهذا الثوب أصبح زي المناسبات والاحتفالات، وأيضا للطبقات الأرقى في المجتمع، وكشكل من أشكال إظهار الهوية والتمسك بها، بعد أن كان زي الطبقات الأدنى (الفولكلورية).

ولا غرابة في الإطار الأول أن نعثر على قائمة من الشعراء الشعبيين الذين عاشوا ثورة (١٩٣٦_١٩٣٩) ممن ينطبق على كل واحد منهم صفة شاعر وثائر شاركوا في الثورة وخاضوا معارك فيها، ومارسوا نشاطاهم في الحركة الوطنية ، وزج بعضهم في السجون والمعتقلات كما أطلقوا الكلمة الرصاصة أيضا ، ولاقوا بأشعارهم وأهازيجهم الوطنية تعاطفا جماهيريا واسعا وسجل الكثير من أشعارهم على اسطوانات استمع إليها الشعب في التجمعات والمظاهرات وحتى في الأفراح هؤلاء الشعراء كانت لهم شعبية مرموقة لأنهم استخدموا الكلمة السهلة في أشعارهم كما تميزوا بالصدق في التعبير عن قضية شعبهم كان صدقهم بالقول والفعل، كانوا يثورون الناس وكانت رصاصاتهم أنفذ من كلماتهم، ومن وجهة نظر شعرية خالصة فإنهم غنوا للثوار في الجبال وللفلاحين على البيادر وفي الكروم والبساتين وكان شعرهم بمثابة خبز القمح المفضل لدى أفراد الشعب لأنه عبر عن حياتهم اليومية [١].

إن التراث الفلسطيني ما قبل الـ ٤٨ تغير كثيرا ولكنه بقي تراثاً فلسطينياً-صنعه فلسطينيون مثلهم- وكذلك الفلسطيني تغيّر ولكن هذا لا يعني أنه لم يعد فلسطينيا[٢].

ومن التراث الفلسطيني: العملة الفلسطينية، صندوق العروس، زي الأسرة، ثوب المرأة فستان العروس، أدوات مستخدمة، مأكولات شعبية، الطابون ، لوحات من الماضي [١].

---

(١) فؤاد عباس.**معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية**. ط١ (عمان: دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، ١٩٨٩) ص٣٦-٣٧.

(2) http://www.almoultaqa.com/Lebanon99/sukaria.aspx

وضمت المنظمة العالمية للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) يوم١١ -١٢-٢٠٠١م مدينة عكا الفلسطينية إلى قائمة التراث العالمي، وتشتهر عكا بأسوارها الشهيرة التي بقيت ماثلة أمام الأعين على مر العصور كشواهد على حضارتها ودورها الريادي في منطقة البحر الأبيض المتوسط، وتحتضن عكا معالم حضارية أخرى شهيرة كالجوامع والأسواق والحارات القديمة إلى جانب قلعتها التي أدت دوراً هاماً في الدفاع عن المدينة من الأخطار الخارجية ويأتي اختيار اليونسكو لعكا ضمن قائمة التراث تأكيداً على عظمة هذه المدينة تاريخياً وحضارياً [٢].

وفي الحقيقة أن الحديث عن ثقافة أي شعب تفرد له مجلدات دون الانتهاء من حصر معالم تلك الثقافة، لكنَّنا نشير هنا إلى طرف من تلك الثقافة الشعبية التي تميَّز بها الفلسطينيون وذلك باستعراض خصائص اللهجة الفلسطينية في نطق بعض الحروف – كما وردت في الموسوعة الفلسطينية اختصار بعض الكلمات واختزالها: مثل (هذه الساعة) التي تصبح (هسّع) ثم (إسّه) وقد كثر استعمال هذا اللفظ تحديدًا في شمال فلسطين، بينما يستخدم أهالي المناطق الوسطى للمعنى نفسه كلمات أخرى ففي نابلس يقولون: (هلَّق) وفي الخليل: "هلئيت" والقرويون يقولون: "هسَّه" وكلها اختصاراً لـ(هذه الساعة) أو لـ(هذا الوقت) والأمثلة في هذا المجال كثيرة كما أن مظاهر التراث الفلسطيني لم تقتصر على اللغة أو اللهجة، بل تعدّت ذلك إلى اللباس المميز الخاص، والمتنوع والمختلف من مدينة لمدينة وقرية لأخرى كما يوجد هناك عادات الزفاف، وطرق إقامة الاحتفالات، وأنماط الزيارة في الأعياد والأكلات، وغير ذلك الكثير وليس مجالنا هنا سردها، بل حسبنا من الاستشهاد الإثبات[٣].

---

(1) http://www.jayyousonline.org/heritage.htm

(2)http://www.arabcin.net/areen/27/reports2.htm

(3)http://www.islamonline.net/iol-arabic/dowalia/fan-46/alrawe1.asp

العلاقة بين التراث والوطن

العلاقة بين التراث والوطن علاقة وثيقة الخصوصية في المجتمع الفلسطيني التي تتجسد في الدور الهام الذي يمارسه الريف في التمثيل الوطني للثقافة المادية الفلسطينية التي تسعى اسرائيل للسيطرة عليها بكل الاساليب والوسائل [١].

وتقع الكثير من كتابات مدونات التاريخ الفلسطيني تحت تأثير النموذج العصري فيما يتعلق بالعادات والتقاليد التي يتمتع بها أصحاب الأرياف التي لا تتبدل ولا تتغيير مع مرور الزمن [٢].

أنواع التراث الفلسطيني ومجالاته

إن أنواع التراث ومجالاته وأشكاله كثيرة لا حصر لها، فهو كل ما أورثه السلف للخلف في شتى مجالات الإبداع البشري، لكي يورثه أولئك الوارثون لمن سيأتي بعدهم.

ويمكننا الحديث عن التراث المادي، والتراث الروحي والفكري "الذهني"، والتراث الفني والتراث المادي، والتراث اللفظي والمجالات الرئيسية المرتبطة بعناصر التراث: الأرض والإنسان واللغة، والتراث المادي الذي يضم كل ما تراه العين، والتراث الفكري أو الذهني الذي يضم كل ما أبدعه الفكر، والتراث الفني الذي يتناول جميع أوجه الإبداع الفني والممارسات المختلفة من طقوسية وغير طقوسية، والتراث اللفظي هو كل ما له علاقة بالكلمة والألفاظ واللهجات العامية والحكايات والحزازير والأمثال الشعبية، ويمكن تقسيم التراث الفلسطيني إلى أربعة أنواع:

١- التراث الفكري أو الذهني: يشمل كل ما أبدعته وأنتجته قرائح أبناء الشعب خلال القرون والعصور في جميع المضامين: في الفقة والفلسفة واللغة والأدب والشعر والنثر والنقد والبحث والتاريخ والجغرافيا، والطب والزراعة والتربية والتعليم، وكل حقول المعرفة، ويتجسم في العادات والتقاليد (الولادة والأعراس والموت) والمواسم والأعياد ووسائل التسلية أو الترويح عن النفس كالألعاب الشعبية.

---

(1)Abu El-Haj, Nadia (2001) **Facts on the Ground: Archaeological practice and Territorial Self-Fashioning in Israeli Society**. Chicago & London: University of Chicago press, p156.

(2) Pappe, Ilan (2004**) A History of Modern Palestine. One Land, Two Peoples**. Cambridge, UK:. Cambridge University Press, p 81.

٢- التراث المادي: يضم كل الثقافة التي ترى بالعين ومنها المواقع التاريخية والأثرية ويضم الأسوار والقلاع والحصون، ويضم المساجد والكنائس وقبور القديسيين والأولياء والصالحين ويضم كذلك أنماط البناء وهندسته وفنه وتخطيطه، و" القصبة " والسوق والخان والبئر و"السبيل " و"الحي" و" الحوش " والمنزل وأعمدته وقناطره ونوافذه، و هو وصف لأشكال وأحجام الأدوات التي يستعملها الشعب في حياته اليومية (أدوات الطعام والشراب وأدوات الحرف والمهن وغيرها وأشكال وهندسة القرى والبيوت والمنشآت العمرانية) [١].

ويضم أيضاً الأزياء الشعبية كالكوفية والعقال والقمباز والسروال، ووسائل الزينة من كحل وحنا والمطبخ الشعبي التقليدي وأدواته، والفنون التشكيلية، ويضم الحرف والصناعة التقليدية التي تعتمد على المواد الخام المحلية.

٣- التراث الفني: يشمل الغناء والموسيقى، والعزف، والألحان، والآلات الموسيقية والدبكات والرقصات، والأهازيج والتهاليل، وأغاني الأفراح وأغاني العمل وأغاني المناسبات الدينية بالإضافة إلى الزجل والشعر العامي الذاتي وغيرها [٢].

٤- التراث اللفظي: وهو ما يتعلق بالألفاظ التي ورثناها عن أجدادنا واللهجات العامية التي نستخدمها والأمثال والحكايات والحزازير الشعبية التي نرددها في حياتنا اليومية [٣].

أولاً: التراث الفكري

١- العادات والتقاليد الاجتماعية

التراث هو ما ينتقل من عادات وتقاليد وعلوم وآداب وفنون ونحوها من جيل إلى جيل نقول: " التراث الإنساني " التراث الأدبي، التراث الشعبي "، و هو يشمل كل الفنون والمأثورات الشعبية من شعر وغناء وموسيقى ومعتقدات شّعبية وقصص وحكايات وأمثال تجري على ألسنة العامة من الناس وعادات الزواج والمناسبات المختلفة وما تتضمنه من طرق موروثة في الأداء والأشكال ومن ألوان الرقص والألعاب والمهارات [٤].

---

(١) أحمد الساعاتي. **مرجع سابق**، ص٣٢٤ .

(٢) منعم حداد. **التراث الفلسطيني بين الطمس والإحياء**، مجموعة دراسات وأبحاث (الطيبة- فلسطين: مركز إحياء التراث العربي، ١٩٨٦) ص١٢.

(٣) أحمد الساعاتي. **مرجع سابق**، ص٣٢٤.

(4)http://www.dr-arzz.net/archive/index.php/t-1801.html

العادات الاجتماعية: العادات، جمعٌ لكلمة عادة، و هي من الفعل تعوّد يتعوّد تعويداً ومعنى هذه الكلمة ومفهومها الدارج هو تلك الأشياء التي درج الناس على عملها أو القيام بها أو الاتصاف بها وتكرَّرَ عملها حتى أصبحت شيئاً مألوفاً ومأنوساً، وهي نمطٌ من السلوك أو التصرُّف يُعتادُ حتى يُفعل تكراراً، ولا يجد المرء غرابة في هذه الأشياء لرؤيته لها مرات متعددة في مجتمعه و في البيئة التي يعيش فيها.

والعادة اصطلاحاً: هي ما يعتاده الإنسان أي يعود إليه مراراً متكررة، نقول عاد الشيءُ فلاناً أي أصابه مرة بعد أخرى، يقال: عاده الشوقُ أو الحنين أي رجع إليه مرة بعد مرة ونقول: عَوَّدهُ على أي جعله يعتاد هذا الشيء حتى يصير عادة له، وسمعتُ شيخاً يذكر مرضياً يعتاده كلّ عام ويقول: " كل معيود مبارك "، وهناك مثل شعبي يقول:" بن آدم عَوَّاد على أثره " وفي لسان العرب في مادة:ع و د: أنشد ابن الأعرابي لم تَزَلْ تِلْكَ عادَةَ اللهِ عِنْدي، والفَتى آلِفٌ لِما يَسْتَعِيدُ و قال: تَعَوَّدْ صالِحَ الأَخْلاقِ، إِني رأَيتُ المَرْءَ يَأْلَفُ ما اسْتَعادا وحتى كلمة عيادة تعني المكان الذي يرتاده الناس من وقت لآخر من أجل المعالجة والاستشفاء فالعادة إذن هي ما تكرر فعله حتى أصبح ديدناً، وألفته الأبصار لكثرة مشاهدته في حياة الناس اليومية [1].

و هي العادات القديمة، المتأصلة، الراسخة في الثقافة، والتي تدوم طويلاً، فيأخذها الخلف عن السلف، والتي تبقى وتستمر برغم فناء الأفراد الذين يكونو ها، فالإنسان يولد في عادات قد وجدت قبله، و قد تتغير بعض الشيء في حياته، ولكنه عندما يموت تستمر هذه العادات في بقائها عن طريق الأجيال اللاحقة له [2].

والعرب يكرهون إنشاء العادات الجديدة خشية على عاداتهم المتوارثة، وخوفاً أن يكون في هذه العادات الجديدة ما يُفقد مجتمعهم بعض المواصفات الكريمة التي يفضلون بقاءها حية فيه ويقولون في ذلك:" ابْطِلْ عَادة ولا تُنْشِيء عَادة "، والمعنى مفهوم من ذلك.

وقد شهدتُ بطلان عادة كانت متبعة في مجتمعنا و هي عمل القِرَى في المآتم، حيث كان أهل المتوفّى يقومون بذبح الذبائح واستقبال المعزِّين وكأنهم في عرس، وقد بطلت هذه العادة في أواخر الستينيات أو تحديداً في عام ١٩٦٨، وكان بطلانها من الأمور الايجابية التي اتخذها مجتمعنا في ذلك الوقت.

وقد تموت بعض العادات وتمحى من الوجود بسبب غيابها عن الأعين والأبصار كعادة لبس الطربوش مثلاً التي كانت سائدة في العهد التركي، وقد تظهر

---

(1) http://www.dr-arzz.net/archive/index.php/t-1801.html

(2)Kluckhohn & Kelly, "**the concept of culture** " in r. Linton (ed): the science of man in the world crisis,p,97.

عادات جديدة تفرض نفسها على المجتمع كعادة لبس المرأة للجلباب الفضفاض التي أصبحت مألوفة في مجتمعنا وكادت تقضي على الثوب الأسود التقليدي المطرّز بأنواعه المختلفة، وكذلك لبس الرجال للسراويل الإفرنجية المزمَّكة التي قضت أو كادت على لباس الرجل التقليدي المعروف والذي يُسمى في مجتمعنا " الكِبْر"، ويسمى عند أهل القرى "القُمْبَاز" (١).

والعادات تقدم حلولاً لكثير من مشاكل الإنسان اليومية، وتقدم لنا الجواب عن كثير من الأسئلة المتصلة بكثير من المناسبات والأحداث الجارية في حياتنا، وترسم لنا بالتفصيل كيف ننظم علاقاتنا الاجتماعية وكيف ومتى نقوم بالحفلات والمراسم والشعائر " والطقوس " وكيف ومتى نقوم بأساليب المجاملات المختلفة، وتبين لنا الأوامر والنواهي المختلفة، والأنماط والطرق التي نتبعها في الإنتاج والتبادل والتوزيع، إلى غير ذلك من أساليب العمل والنشاط في ميادين الحياة المختلفة ومن خصائص العادات التقليدية التي تميزها، من أهمها وأبرزها الاستمرار والدوام، والقابلية للتغير، والميل إلى المحافظة (٢).

ومن بعض العادات السائدة في مجتمعنا للدلالة فقط: عادة استقبال الضيوف وتقديم القِرَى لهم وزيارة المرضى ودعوتهم لتقديم الواجب والاحترام لهم والمتمثلة بعمل القِرَى أو " القَرْوَة " كما تسمى في مجتمعنا، وكذلك الحال بالنسبة للمعتمرين والحجاج لدى عودتهم، وقد أجمع المعتمرون والحجّاج على عدم الذهاب مع أي شخص فأصبح الناس يأتونهم للتهنئة بالعودة وأداء المناسك ليس أكثر(٣).

وللعادات التقليدية دور يشبه دور الوراثة في الحياة الفسيولوجية فهي تنقل جزءاً من الماضي إلى الحاضر وبذلك تؤدي إلى نوع من الاستمرار والتواصل بين الأجيال المتعاقبة وليس هناك ثقافة بدون عادات تقليدية، فكل الشعوب المتمدينة منها والمتأخرة، تتصل بالماضي لتسترشد به وتهتدي بهديه عن طريق هذه العادات التقليدية، فوظيفة العادات التقليدية الإرشاد إلى الحياة السليمة، وبدونها لا يمكن الجماعة أن تكسب شيئاً من ماضيها يهديها في تصرفاتها ويسهل عليها حياتها، وهي كما يعبر عنها " كلاكون وكلي " " Kluckhohn & Kelly " وسائل الحياة المختلفة التي توصل إليها الإنسان عبر التاريخ وسائل إرشاد توجه سلوك الناس في المجتمع (٤).

---

(1)http://www.dr-arzz.net/archive/index.php/t-1801.html

(٢) فوزية دياب. **القيم والعادات الاجتماعية** (القاهرة: دار الكتاب العربي، ١٩٩٦) ص١٥٢.

(3)http://www.dr-arzz.net/archive/index.php/t-1801.html

(4)Kluckhohn & Kelly, **Op. Cit.** p,97.

التقاليـد

التقاليد: جمع لكلمة تقليد، وهي من الفعل قلَّدَ يُقلِّدُ تقليداً، ومعناها أن يُقلِّد جيلٌ أساليب الجيل الذي سبقه ويسير عليها، إن كان ذلك في الملبس أو في السلوك والتصرفات أو في العقائد والأعمال المختلفة التي يرثها الخَلَف عن السَّلَف، وفي المنجد، التقليد: جمع تقاليد وهو ما انتقل إلى الإنسان من آبائه ومعلميه ومجتمعه من العقائد والعادات والعلوم والأعمال ويقال قَلَّدَ فلاناً: أي اتبَعَهُ وحاكاهُ فيما يقول أو يفعل من غير حجة ولا دليل.

وفي تراثنا وحياتنا الاجتماعية عندما نرى فتاة تطرِّز قطعة من القماش لتعمل منها ثوباً فإننا ندرك أنها تُقلِّد والدتها في ذلك، وكذلك لو بدأت تعجن الدقيق أو تتعلم الطهي على الصاج أو غيره فهي تكتسب تلك المهارات مما تراه عند والدتها وتقلدها في ذلك متخذة إياها قدوة لها تسير على نهجها وتتبع خطواتها وتسلك مسلكها[١].

والواقع أن الألفاظ: تقاليد، وتقليد، وتقليدي أصبحت معروفة عند كثير من كتابنا ومؤلفينا من علماء الاجتماع وغيرهم، بدلالتها على القدم ومضى زمن، وإذا اتصف السلوك بأنه تقليدي يستشف من ذلك أن مزاولته دامت حقباً طويلة، وأنه محاكاة لسلوك القدامى ومتوارث عنهم وهذا المعنى مذكور في المعجم الوسيط إذ جاء به أن التقاليد هي العادات المتوارثة التي يقلد فيها الخلف السلف.

كذلك إذا تدبرنا ما يقابل تلك الألفاظ في اللغة الإنجليزية مثل: – Traditional – Tradition Traditions وجدنا أنها كما يقول ماكس رادين "Max Radin " تستعمل بمعنى قديم Old وراسخ وعريق Long Estanbished فالمعروف في العالم الغربي، أننا إذا قلنا Traditional Religion أي الديانة التقليدية، كان المقصود " المسيحية " Christianity [٢].

والطفل عندما يبدأ النطق فهو يقلد والديه ويحاكيهم في لفظهم وتصرفاتهم حتى يستقيم لسانه ويهتدي إلى اللفظ السليم ، وكذلك في السلوكيات فإن للبيت أثره البارز على تنشئة الأولاد وتربيتهم على الأسس السليمة، فمن يتربى في أسرة محافظة ملتزمة بدينها يسير على نهج والديه، وكثيراً ما نرى ترادفاً ظاهراً بين كلمتي عادات

---

(١) \http://www.dr-arzz.net/archive/index.php/t-1801.html

(٢) فوزية دياب. **مرجع سابق**، ص١٥٢.

وتقاليد فنرى الناس يقولون: من عاداتنا وتقاليدنا فعل كذا، أو إننا نحافظ على عاداتنا وتقاليدنا، فالعادات والتقاليد مثلاً تقضي بأن لا تزوّج عائلة ابنها أو ابنتها من عائلة أخرى، ليس لأن في تلك العائلة ما يعيبها، ولكنهم ساروا في أثر آبائهم وقلدوهم في تصرفاتهم ولم يغيروا أو يبدلوا شيئاً ، وكثيراً ما نرى بعض الصفات التي تدلّ على القِدَم والجهل والعمى تلتصق بكلمة التقليد مثل: تقليد أعمى وتقاليد بالية وغيرها من الألفاظ والعبارات التي يستعملها المفلسون في أغلب الأحيان، وفي أمثالنا الشعبية: " اللي بيعاشر القوم أربعين يوم، بيصير يا منهم يا عليهم " لأنه يتعلم طباعهم ويجاريهم في عاداتهم وتقاليدهم ويعرف عنهم كل صغيرة وكبيرة [١].

وتتغير التقاليد عندما يتعرض حاملوها لتقاليد أخرى، ويحدث التغير في التقاليد المستقرة نتيجة القوة الاقتصادية والسياسية والعسكرية التي يتمتع بها مناصرو التقاليد الغربية ووضوح ملاءمة وتأثير التقاليد الغربية وتفوقها الفكري على المسلمات التي تنهض عليها التقاليد المستقرة[٢].

وهناك بعض الكلمات التي لها علاقة بالعادة والعادات ومنها الطَّبْع، والكار، فنجد في الأمثال الفصيحة:" الطبع غلب التطبُّع "، وفي الأمثال الشعبية:" طَبْع اللبن ما بيغيّره إلا طبع الكَفَن " و" أُحكم بطبعك وطبع الناس لا "، أما الكار وهو من تكرار الفعل، فالمثل يقول " اللي فيه كار ما بيخَلِّيه " وهو موازٍ للمثل:" اللي فيه عادة ما بيخَلِّيها "، وقد لُقِّب أحد الشعراء بـ" عائد الكلب " لبيت شعر يقول فيه مَا لِي مَرِضْتُ فَلَمْ يَعُدْنِي عَائِدٌ مِنْكُمْ وَيَمْرَضُ كَلْبُكُمْ فَأَعُودُ [٣].

لا تكاد توجد طريقة تتعرف بها على نمط شعب من الشعوب أفضل من أن تجعل أفراده يتحدثون هكذا تظهر معتقداتهم وعاداتهم، وتقاليدهم وطقوسهم الدينية، أوضح وأقل تزويقاً مما لو جعلناها يطرحونها على شكل أجوبة لأسئلة مطروحة بهذه الطريقة يحصل المرء على صورة أكثر وضوحا عن عاداتهم مما لو اعتمد على مراقبته الواعية والمتحمسة لهم،ونلاحظ أنه عندما يصبح الشعب بأغلبيته قادرا على القراءة، فإن الفن لا يعود يحكى مشافهة، وكذلك لا تعود معرفة شعب من الشعوب تتم عن طريق سماع حكاياته [٤].

---

(1) http://www.dr-arzz.net/archive/index.php/t-1801.html

(٢) ادوارد شيلز. **التراث: تأصيل وتحليل من منظور علم الاجتماع**. **ترجمة:** محمد الجوهري وآخرون (جامعة القاهرة: كلية الآداب - مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، ٢٠٠٤).

(٣) **المعجم الوسيط** ، ج٢ ، ص ٢٤١

(٤) نمر سرحان. **أرشيف الفلكلور الفلسطيني**. ج٣. ط١ (عمان: وزارة الثقافة ، ١٩٨٥) ص١٢ – ١٣.

عادات فلسطينية في دوائر الفولكلور

بقيت مع شعب فلسطين عاداته الرئيسية حتى بعد هجراته الكبيرة في عامي ١٩٤٨،١٩٦٧ وأخذها معه الى المهاجر كما ابقاها معه في الوطن المحتل، سهله وجبله وغوره وبواديه [١].

وهناك أشياء نتعود عليها من خلال سماعنا المتكرر لها، كصوت الجرن أو المهباش وهو يدق القهوة بصوته العذب الرتيب، أو صوت الشبابة يسكب فيها الراعي أحلى ألحانه وينتقل بين لحن ولحن وكأنه في روضة غنّاء من الألحان والأنغام، وكذلك صوت البدَّاعين في الأعراس والمناسبات السعيدة، وصوت الربابة الشجي الذي تغلب عليه مسحة من الحزن وكأنها تعبر عن أحاسيس أهل البادية وخلجات نفوسهم بين رمال الصحراء وكثبانها.

وكذلك تعودت أسماعنا على ثغاء المواشي ورغاء الإبل وصهيل الخيل، ونباح الكلاب وهريرها وهناك أشياء نتعود عليها من خلال شَمِّنا المتكرر لها ؛ كرائحة القهوة عند تحميسها أو (تحميصها) ورائحة اللبن من حليب ورائب ولبنٍ مخضوض، ورائحة الشواء واللحم الضأني المطبوخ وغير ذلك كثير [٢].

الزواج عند الشعب الفلسطيني

لكل شعب من شعوب العالم عادات وتقاليد في الزواج وللشعب الفلسطيني عاداته وتقاليده الخاصة في الزواج ولكن لا شك في أن هناك تشابهاً في هذه العادات بين الشعوب العربية و هذه العادات انتقلت من مرحلة حسب الظروف المحيطة بها فالبعض مازال متمسك بالعادات القديمة حفاظاً على عادات وتقاليد أجداده وآبائه والبعض الآخر أخذ يقتبس من غيره فترك بعض تلك العادات والتقاليد، لذلك كان لابد أن نفرق بين مرحلتين من الزواج في الماضي والحاضر [٣].

إذا نظرنا إلى الزواج في في الماضي فإنه يعتبر زواجاً مبكراً وخاضعاً لقيود عادات وتقاليد العائلة الواحدة، وكان الزواج الذي يتم داخل الأسرة الواحدة هو السمة السائدة فابن العم أحق بابنة عمه وكذلك ابن الخال بابنة خاله وهكذا، كما يتم الزواج دون مشورة الفتاة وقد يكون رغم إرادتها وولي أمر الفتاة هو صاحب الرأي الأول

---

(1)http://www.dr-arzz.net/archive/index.php/t-1801.html

(٢) صالح زيادنة. **من الأمثال البدوية**. ط١ (القدس: المطبعة العربية الحديثة، ١٩٩٧) ص٢٤.

(٣) محمد سليمان. **العادات والتقاليد الفلسطينية** (غزة: دار النمير، ١٩٩٨) ص٩٧-١٠٥.

والأخير، فمن أتاه من الرجال على خلق وسمعة طيبة من أبناء العائلة زوجه دون تردد ولا ينظر إليه إذا كان غنياً أو فقيراً وبعضهم ينظر إلى ذلك [١].

وعندما يفكر الرجال بالزواج كانوا يبحثون عن زوجاتهم من داخل الأسرة (الحمولة) أو من الطبقة نفسها التي ينتمون إليها، وكان كثير من الرجال لا يرون زوجاتهم إلا يوم الزواج وقد قال فلسطيني طاعن في السن (الزواج في الغرب هو نهاية الحب بينما الزواج عندنا هو بداية الحب) والمعروف أن الفلسطيني يدفع مهراً كبيراً لزوجته أو هكذا كان الشأن قبل النزوح الأول عام ١٩٤٨ [٢].

ومن خلال دراستنا لعادات وتقاليد الزواج عند الشعب الفلسطيني نجد أن هناك مفاهيم اجتماعية خاصة بهم في الزواج تميزهم عن غيرهم من الشعوب، ونلاحظ أن الضغوط الاجتماعية عند البدو والقرويين ظاهرة اجتماعية سائدة وعند أهل المدن وبعض القرويين يكون الرأي للشاب والفتاة [٣].

الخطوة الأولى " الخطبة ":

إذا رغب الشاب في الزواج، أو رغبت الأسرة في ذلك أخبروه بهذه الرغبة أو أخبرهم هو برغبته ويستقبل ذلك بفرح وسرور، تبدأ الأم والأخوات بالبحث عن إحدى الفتيات التي تعجبهم وإذا وجدوا تلك الفتاة تقدموا إلى خطبتها، وترتب النساء للقاء الرجال، حيث لا يصح للرجال أن يتقدموا للخطبة مباشرة في هذا الموضوع وبعد تحديد موعد للرجال تذهب مجموعة من الرجال لخطبة الفتاة دون رؤيتها ويتم الاتفاق على المهر وخلافه من مستلزمات الزواج، وفي هذه المرحلة لا يحق للشاب أن يرى الفتاة إلا ليلة الزفاف، وقد يكون الزواج بالتبادل حيث الأخت مقابل الأخت وهو ما يعرف " بالبدل " وفي هذه الحالة لا يدفع أحداً منهم مهراً حيث يكون المهر شيء مقابل شيء حيث يشترون حاجيات العرس مع بعضها ثم تقسم بين العروسين بالتساوي، وكانت العادة أن يتعجل الأبوان في تزويج الابن لصيانته خلقياً، كما رغبوا في تزويج الفتاة سن مبكر طلباً للستر، وكانوا يرغبون في زواج بنت العم أو إحدى القريبات أو الجارات لأن الأب يطمئن إلى بنت من نفس الوسط الذي يعيش فيه [٤].

---

(١) **المرجع السابق**، ص٩٧-١٠٥ .

(٢) عزيز شهاب. **نكهة فلسطين:** الأطباق الفلسطينية التقليدية وكيفية إعدادها. **ترجمة:** رشيد أبو غيدا (مكتبة برهومة للنشر.د.ت) ص ١٣-١٥.

(٣) محمد سليمان. **مرجع سابق**، ص٩٧-١٠٥.

(٤) إبراهيم سكيك، **غزة عبر التاريخ**، ج٣، (غزة: د.ن، د.ت) ص١١٩.

الخطوة الثانيـة " التحضير للزواج ":

وهي مرحلة البدء للتحضير لليلة الزفاف حيث يقوم الرجال من أقارب العريس كالوالد وأخوته بشراء ما يلزم من طعام ليوم مفتوح من شياه وأرز ودقيق وشاي وقهوة عربية وما شابه ذلك، كما تقام الأفراح قبل الزواج بأسبوع على الأقل وهذه عبارة عن الدحة أو السامر أو الرزع أو المشرقية وتكون عند البعض من الشعب الفلسطيني مثل البدو وبعض القرويين أما سكان المدن لا يهتمون بذلك حيث يأتون الرجال بعد مغيب الشمس إلى مكان الفرح ليشاركوا فيه ويروا ذلك واجب عليهم حيث يترك الرجال كل شيء ويذهبون للمشاركة والمجاملة وفي هذه اللعبة يصطف الرجال في صف واحد متراصين وإما في صفان متقابلان وتكون بينهم أو أمامهم راقصة أو تعرف بالحاشية من النساء اللاتي اشتهرن بذلك حيث ترتدي الثوب الفلسطيني البدوي المزركش ولا يظهر من جسدها شيء إلا عنينها وبيدها إما عصا وإما سيف وعندما يبدأ السامر لا بد من التسخين لذلك حيث يقول الرجال (حيو دحو حيحو حيحو حيحو دحو) ويستمر هذا القول حتى يكتمل عدد الرجال الكافي ثم يتقدم أحد الرجال أو ما يعرف بالبدِّيع ليقول الشعر الشعبي حسب الظروف التي يراها وقد يتبارز رجلان في القول ويرد بقية الرجال بعد طرح بيت الشعر قائلين " رايحين إنقول إللي نريدا " وهكذا، وقد يكون هذا الشعر مدح في صاحب الفرح أو في الراقصة أو ذم فيها وقد يهجو البديعة بعضهما البعض وأثناء اللعب يتقدم الرجال نحو الراقصة فتقدم بالتلويح بالعصا أو السيف إذا ما وصل إليها أحدهم، ويصل الأمر أحياناً إلى ضرب من تقدم نحوها، وتستمر اللعبة حتى منتصف الليل هذا بالنسبة للرجال، وأما النساء فلهن في الدحة إضافة إلى الغناء والرقص وللنساء طابع خاص في غناءهن الذي يعرف المهاها وللكبار والنساء دور كبير في إحياء ليالي الأفراح وأيضاً للأولاد نصيب في ذلك حيث يصطفون في ركن من مكان ليلعبون الدحه أو الدبكة والموال على الشبابة أو اليرغول.

الخطوة الثالثة " ليلة الحناء":

قبل ليلة الزفاف بيوم تذهب مجموعة من النساء أهل العريس إلى أهل العروسة مصطحبين معهم صحن كبير فيه سكر وطوفي وليمون وجرة فخارية بها ماء وحنة وثياب وعندما يصلون بيت العروسة يرددن الأغاني وما أن دخلن البيت يجلسن حيث يرحب بهم أهل العروسة وهم يعلمون قدومهن بالطبع ثم تقوم النساء اللاتي حضرن بتحميم العروسة ويحنون يدها وأرجلها ثم يلبسونها الثوب البدوي الجميل المزركش والذي أعد خصيصاً لهذه الليلة هذا عند البدو والبدلة البيضاء عند القرويين وأهل المدينة وكل ذلك يكون بعد العصر وحتى وقت العشاء وبعد ذلك ينصرفن عائدات إلى أهل العريس.

الخطوة الرابعة " يوم الزفاف ":

يوم الفرح يجتمع أهل العريس من قريب ومن بعيد في بيته، وبعد تناول طعام الغذاء ينتظرون حتى صلاة العصر وذلك حسب بعد المكان ووسيلة النقل المتوفرة، يذهب الرجال بدون العريس إلى بيت العروسة راكبين الإبل ويكون أحد الجمال عليه هودج* وإذا كان المكان قريب يذهبون مشياً على الأقدام وما أن يصلوا بيت العروسة ويجلسوا قليلاً ثم يستأذنوا أهلها بتقديم النقطة للعروسة، ثم بعد الانتهاء من النقطة تركب العروسة في الهودج وبعد وصولها بيت الزوجية الذي يصنع من الشعر عند البدو ويسمى البرزه، وعند البعض الخص إذا كان الوقت صيفاً ويكون قد صنع خصيصاً لذلك، وعند القرويين يكون من الطين واللبن وعند أهل المدينة يكون من الحجر، ويستقبلونها بالزغاريت والغناء وتجلس في المكان الذي خصص لها وهنا لابد أن نشير إلى أن لدى البعض من القبائل البدوية يدخل العريس على عروسته بعد وصولها بقليل ومنهم بعد السهرة ويمكث العريس والعروسة مدة أسبوع في بيت الشعر بعدها يخرجون (خاصة عند البدو) ويكون الأصحاب حريصين على زفاف العريس مرددين الأهازيج والأشعار الشعبية الجميلة حيث يكون العريس يمشي بين أصدقائه ونذكر منها[1]:

زفة العريس

درج ي غزالة يا رزق الحلال... درج يا حبيبي يا ريتك من نصيبي
شنقل ليله شنقل ليله الله يبارك من هالليلة... ومن هالليلة صاروا عيله
عريس الزين يتهنا يأمر علينا ويتمنى... درج يا غزالة يا رزق الحلال
ولعي يا عيني هذا عريس الزين... درج يا غزالة يا رزق الحلال
بدنا عروسة يا أحباب...ما تلبس إلا جلباب
وما بتخرج برات الباب إلا بإذن الزوجية.. ودرج يا غزالة يا رزق الحلال
حنن يا قرع حنن... شوف الحلوة بجنن
يا ما خلق يا ما صور كف البنت ريال ذهب مدور...ودرج يا غزالة يا رزق الحلال
اربط عندك باب الشارع....أنا وأنت هينا للصباح
وإن طاب الخاطر للمرواح.... درج يا غزالة يا رزق الحلال

---

* **الهودج:** بيت من القماش فوق ظهر الوتر لتركب فيه المرأة أو العروس.
(١) محمد سليمان. **مرجع سابق**، ص٩٧-١٠٥.

الخطوة الخامسة " إعداد الطعام ":

يقمن بعض النساء ليلة الزفاف بإعداد الخبز الرقاق (خبز الصاج) أو الجريشة المصنوعة من القمح وفي الصباح " الصباحية " يقوم الرجال بذبح الشياة أو الإبل كل حسب إمكاناته ويكون أهل العريس قد دعوا الأقارب والأصدقاء لحضور حفل الغذاء وقد يأتي بعض الرجال يوم الغذاء أو قبله مصطحبين معهم وقود وتكون أمامهم الخيل تلعب حتى يصلوا أهل العريس حيث تستقبلهم النساء بالزغاريد والمهاها كما تأتي النساء بالصواني المليئة بالأرز والدقيق والسكر والطوفي والورد إذا توفر ويكون ذلك غالباً عند أهل البدو والقرى.

وبعد تناول طعام الغذاء ينصرف الحضور إلى منازلهم ويبقى البعض ليطلبوا العريس من والده كدعوة للغذاء وقد يكون ذلك بالإيجاب أو الرفض وإن دل ذلك على شيء فإنه يدل على الترابط الأسري وانتشار الألفة والمحبة بين الناس غالباً ما نجد هذه العادة عند البدو والقرويين أكثر انتشاراً من أهل المدن، وبعد أسبوع من ليله الزفاف يأتي أهل العروسة إلى ابنتهم مصطحبين معهم ذبيحة وحلوى ويقوم أهل العريس بذبح تلك التي أتوا بها أهل العروسة تكريم لهم كما تغني النساء للعروسة وبعد أسبوع تقوم العروسة والعريس بزيارة أهلها عند القرويين وعند البدو وقد تبقى عند أهلها قرابة الأسبوع الأول [1].

ولا يختلف الزواج كثيراً في الحاضر عن الزواج في الماضي إلا في أمور بسيطة مثل: الخطوبة ومدتها، والزفاف حيث يسبقه فترة خطوبة وفي عملية البحث عن العروسة أحياناً يقوم الشاب بالإشارة إلى العروسة التي يريد الزواج منها، كما يرتدي العريس البدلة الحديثة ويذهب مع الرجال ليحضر طلب، ومتطلبات العروسة تكون أكثر من متطلبات العروسة في الماضي كما لا يهتم الكثير في الحاضر بعملية النقطة وإقامة حفل غذاء، كما يكون للخاطبة دور فعال في الحاضر، ويكون للعريس والعروسة رأي في الموافقة والاختيار سواء من الأقارب أو من عائلات أخرى [2].

عادة " القَوَد "

ومن العادات الشائعة عادة " القَوَد "، وهو النقوط الذي يُقدَّم في الأعراس لوالد العريس أو للعريس نفسه، وهو عبارة عن خروف سمين أو مقدار ثمنه نقداً، ويُسجّل صاحب العرس أسماء الذين يقدمون له هذا النقوط والمبلغ الذي قدموه له ليعيده لهم عندما تكون عندهم مناسبة مماثلة لأن ذلك يعتبر دين عليه، ويقولون:" أكل الرجال

---

(١) **المرجع السابق**، ص٩٧-١٠٥.

(٢) درعان الوحيدي. **التراث البدوي أصالة وتاريخ**. ط١ (غزة: المركز القومي للدراسات، ٢٠٠٥) ص٢٩ – ٣٠.

عند الرجال قُرْضة وعند الأنذال حَسَنة"، وقد سادت في مجتمعنا في السنوات القليلة الماضية موجة من التذمر لضخامة مبلغ النقوط أو القَوَد وكثرة الأعراس في الموسم الواحد، ونادى المصلحون من المشايخ وأئمة المساجد والوجهاء بتقليل المبلغ حتى يتمكن الناس من إبقاء المجاملة بينهم دون الإثقال عليهم وتحميلهم ما لا يستطيعون حمله[1].

الحيوانات التي يهتم الفلسطينيون بتربيتها للركوب والحراسة

الخيل العربية الأصيلة

اعتز العرب منذ القدم بخيولهم في الحرب، و هي التي سماها الله بعد نزول الرسالة على الرسول " محمد صلى الله عليه وسلم " العاديات قال تعالى ((والعاديات ضبحا فالموريات قدحا فالمغيرات صبحاً)) ولازال يطلق عل قسم من القوات المسلحة في الجيوش العربية الحديثة سلاح الفرسان، إلا أن هذا القسم في الجيوش اقتصر على الحفلات والحراسات الليلية في أقسام الشرطة وسلاح الحدود وحلبات السباق الدولية، وكان للخيل، ولا سيما الأصايل منها شأن عظيم، فالبدو يعتقدون أن " ظهور الخيل عز " فتراهم يتفاخرون باقتنائها خاصة الخيل الأصيلة منها، والخيول العربية لها سلالات متعارف عليها كالمخلدية نسبة لفرس خالد بن الوليد الصحابي الجليل، والكحيلات والكبيشات، والعبيات و ما إلى ذلك، وللخيل عند العرب مكانة خاصة، ارتبطت لديهم بالفروسية وفي التراث العربي الكثير من الروايات التي تؤكد مكانة الفرس أو الحصان أو المهرة عند أصابتها مما يعطي الخيول أهمية استثنائية في حياة العربي الذي وصفها بصفات العزة والأنفة والكبرياء ما لا تتوفر في غيرها من الحيوانات والخيول في بلادنا ارتبطت بالواقع الطبقي والاقتصادي والاجتماعي ولم يكن باستطاعة الكثير من الأفراد امتلاك أي نوع من الخيول، وظلت لدى البعض أمنية، و قد قيلت بعض الأمثال التي تدل على مكانة الخيول لدى العربي مثل " السعادة بثلاثة الدار الوسيعة والمرأة المطيعة والفرس السريعة".

وقد جاء في جريدة القدس ص٢٤ بتاريخ ٢٠٠١/١٢/٣٠م، خبراً مفاده أن معظم خيول بريطانيا الأصيلة من نسل عربي واحد، حيث أن الدراسة كشفت أن الغالبية العظمى من خيول السباق البريطانية الأصيلة ترجع في نسبها إلى جواد عربي سوري المولد وصل إلى إنجلترا منذ نحو ثلاثمائة عام، وكان مؤرخو سباقات الخيول يقولون من قبل أن خيول السباق الأصيلة ترجع في أصولها إلى ثلاثة جياد استوردت

(1)http://www.dr-arzz.net/archive/index.php/t-1801.html

من الشرق وهي جواد دارلي العربي وجواد اللورد جوولفين العربي وجواد بايرلي العربي [1].

والخيل العربية الأصيلة هي فخر ومجد ومن أجلها يقطعون المسافات البعيدة والخطيرة ويهاجمون العدو ويردون صدمات الحروب، وبسبب وجودها يعودون منتصرين في المعركة فهذه الخيل لها إكرام ومنزله رفيعة في المضارب البدوية ولا تراها إلا مربوطة أمام بيوت الشجعان والمشايخ، وإذا الفرس الأصيلة ولدت مهرة ينتشر الفرح في العشيرة، وإكراماً لهذه المناسبة يذبحون ذبيحة عشاء لها يقدموه للحضور والكل مسرور ومستبشر خير، وإذا أحد اشترى فرس أو حصان يذبح له نعجة ويقدمها كوليمة لهذه المناسبة للأصدقاء والأحباء فيقولون المثل المعروف "يقناها من يحماها" أي الذي يحارب ويدافع عنها [2].

الإبـل

الإبل هي المساعد الأنيس للبدوي في خضم الصحراء، ومن أسس الحياة في البادية ولا يستطيع الاستغناء عنها في حياته، وقد يستغني عن الحصان ولكن لا يستطيع ذلك عن الجمل والإبل مصدر القوة والمتعة والسطو، وهي دعامة الحياة الاقتصادية في البادية، ففي لبنها الغذاء وفي وبرها الكساء وفي جلودها الصناعات الجلدية الأخرى التي يحتاجها في حياته كالنعال لحماية الأقدام من المؤثرات البيئية، والجمل يسميه العرب سفينة الصحراء لتحمله مشقة الحياة في البيئة الصحراوية القاسية ولاستطاعته السير في الرمال وتساعده أقدامه التي لا تغوص في الرمال، كما يوجد على عيون الجمل غشاء شفاف يقفله عند هبوب العواصف الرملية والغبار، ويساعده هذا الغشاء عل الرؤية والمحافظة عل عيونه، والجمل هو السمة المميزة عند القبائل البدوية، ويعتمدون عليه في حياتهم للسفر والتنقل وحمل ما يريدون حمله من أثقال عبر الصحراء نظراً لقدرته على الحركة والسفر لفترات طويلة بدون ماء واستطاعته المعيشة على القليل من الأشواك والحشائش المتناثرة التي تنمو في الصحراء على أقل كمية من المطر، والإبل تتحمل الجوع والعطش وحر الصيف وبرد الشتاء، ويستخدمه البدو في نقل البيت عند الرحيل والاستفادة حتى من مخلفاته التي تستخدم لإيقاد النار للطهي والطبخ وصناعة القهوة والتدفئة، وفي نقل تجارتهم وبضائعهم عبر الصحراء لدرايتهم بمسالكها وطرقها وتسير على هيئة قوافل حتى يتوافر لها الأمن، ويسمى الذكر بالجمل والأنثى بالناقة وفترة الحمل عندها ثلاثة عشر شهراً،

---

(١) مروان أبو سويرح. **المختصر في البدو**. حياتهم ومعارفهم (غزة: د.ن، ٢٠٠٢) ص١٠٨-١١٨.

(٢) محمد سليمان. **مرجع سابق**، ص٩٧-١٠٥.

والأنثى تضع وليدها سنة كاملة، ويسمى وليد الناقة بالحوار، وتسمى النوق الصافيات " زريقات "، وللإبل الصافية أسماء منها الوضيحيات، والزغيبيات والمخبلات [١].

وكان العرب يستخدمون الإبل والخيل في غزواتهم وكانوا يعتمدون بالدرجة الأولى على الخيل في الدفاع عن البيوت وما حوت أما عند الغزو فيركبون الإبل ويقودون الخيل كي لا يصيبها الإجهاد والإرهاق لأنها أقل احتمالاً للمشقة من الإبل ويحملون لها الماء والعلف على ظهور الإبل ويسقونها بعيداً عن أرض المعركة، وأغاروا فرسانا ذلك أن الفرس أكثر خفة وسرعة ورشاقة في تحقيق الهدف يلحقون المغيرين عادة مستخدمين الخيل بدلا من أي دابة فإذا كان المغيرين على غير الخيل يلحقونهم ويبيدونهم فلذلك للخيل توازن اجتماعي واقتصادي وعسكري وحيث أن للخيل أهمية كبرى حيث "يجاع لها العيال وهي لا تجوع" [٢]

(١) مروان أبو سويرح. **مرجع سابق**، ص١٠٨- ١١٨.
(٢) محمد سليمان. **مرجع سابق**، ص٩٧-١٠٥.

أسماء الإبل حسب عمرها [1]:

- المباري: ولد الناقة عند الولادة سواء في ذلك الذكر أو الأنثى.
- حوار: سواء في ذلك الذكر أو الأنثى.
- مصاص: سواء في ذلك الذكر أو الأنثى.
- المفرود: للذكر ومفروده للأنثى في النصف الأول من السنة الثانية.
- لبني: للذكر ولبنية للأنثى في النصف الأخير من السنة الثانية.
- مربوط: للذكر ومربوطة للأنثى عند ختام السنة الثانية.
- حق: للذكر وحقه للأنثى في بحر السنة الثالثة.
- جدع: للذكر وجدعه للأنثى في بحر السنة الرابعة.
- رباع: للذكر ورباعية للأنثى عند ختام السنة الرابعة والدخول في السنة الخامسة.
- خماس: للذكر وخماسية للأنثى في بحر السنة الخامسة.
- الجمل: للذكر وناقة للأنثى عند ختام السنة الخامسة والدخول في السادسة.

❖ **أسماء الجمل:**

- القاعود: ذكر الإبل من سن المباري إلى الجدع.
- الجمل: ذكر الإبل من سن رباع فصاعداً.
- البكرة: أنثى الإبل إلى سن الجدع.
- الناقة: أنثى الإبل من سن الرباع فصاعداً.
- الهجين: جمل الركوب.

❖ **أوصاف الإبل:**

- الهجين: هو الجمل سريع الركض.
- الخوارة: هي الناقة غزيرة اللبن.
- الفاطر: الناقة الطعنة في السن.
- البكرة: الناقة قبل أن تلد.
- القاعود: الجمل قبل أن ينبت نابه.

الأغنام والماعز

اهتم البدو منذ قديم الزمان بتربية الأغنام والماعز، ولا يزاد نسلها إلى حيث تكثر المراعي الخصبة، وهذه تقل سنة عن أخرى بسبب ندرة وقلة المطر، واتساع

(١) مروان أبو سويرح. **مرجع سابق**، ص١٠٨- ١١٨.

مساحة الأرض المعدة للزراعة ويعتني البدو بالأغنام والماعز للاستفادة من لحومها وصوفها وشعرها وجلودها ولبنها وسمادها بعد احتياجه للزراعة [1].

عادة شرب القهوة والشاي (نكهة فلسطين)

كان الفلسطينيون يتهادون أكياس القهوة والسكر وصناديق الشاي الهندي أو السيلاني وتقدم الهدايا بمناسبة الزواج أو تخرج الطلاب من المدارس أو الجامعات، وكان الآباء لا ينصحون أبناءهم بشرب القهوة بل يروون لهم خرافة، وهي أن شرب القهوة يزيد سمرة البشرة وذلك حتى لا يفكر الأولاد بشربها، أما إذا بلغ الشاب سن الرجولة فيحق له شرب القهوة ولا يجوز على الإطلاق تقديم القهوة للبنات، ويعتبر تقديم القهوة السادة عند البدو الفلسطينيين رمزاً للكرم وصب القهوة للضيوف له مراسم وشعائر حيث يقوم المضيف أو ابنه الأكبر بحمل الدلة النحاسية وصب القهوة السوداء في فناجين صغيرة وتقديمها للضيوف وفقاً لأعمارهم أو مناصبهم أو رتبهم فالأكبر سناً تقدم له القهوة أولاً غير أن الذي يستلم الفنجان الأول أو الثاني يحاول تقديمه للجالسين إلى جانبه لكنهم يرفضون.

وعادة ما يشرب الضيف القهوة على " شفّات " صغيرة ويصدر صوتاً من بين شفتيه دلالة على استمتاعه بالقهوة، ويواصل المضيف صب القهوة في فنجان الضيف وإلى أن يهز هذا فنجانه يمنة ويسرة دلالة على أنه اكتفى بما شربه من جهة، كما يعني تحريك الفنجان شكر الضيف للمضيف وجرت العادة ألا يشرب الضيف أكثر من ثلاثة فناجين قهوة سادة، وهي عادة متبعة في العالم العربي بأسره بعد الانتهاء من شرب القهوة يقول الضيف (دايمة) التي تعني (ليديم الله عليكم نعمته حتى تواصلوا تقديم القهوة للضيوف) ويجيب المضيف بعبارة (صحتين وعافية)، وإن ما يميز القهوة الفلسطينية خاصة والعربية بشكل عام هو مزجها بالهيل وطريقة إعدادها، وهذا يستدعي تقشير حبة الهيل وإخراج بذور الهيل منها وطحنها حتى تصبح مسحوقاً ويمكن شراء الهيل من العطارين والمخازن [2].

ومن العادات لتقديم القهوة من اليمين، وهزّ الفنجان وتحريكه دلالة على الاكتفاء، ومن الأمثال الدالة على ذلك قولهم: " مدّ القهوة ع اليمين لو كان أبو زيد ع الشمال "، وحول تحريك الفنجان وهزِّهِ روى لي أحد القرويين بأنه زار رجلاً في البادية فصبَّ له القهوة، وأعاد الرجل الفنجان ولكن الرجل صبَّ له مرة أخرى

---

(١) **المرجع السابق**، ص١٠٨- ١١٨.

(٢) عزيز شهاب. **مرجع سابق**، ص ١٣-١٥.

وتكرر ذلك حتى قال القرويّ:" يا عَمِّي بَس " فأخبره البدويّ عن عادة هزّ الفنجان [١].

ويستعمل الفلسطينيون كمية كبيرة من نبات النعنع الطازج على الشاي أو المجفف في الشاي كما أنهم كأشقائهم العرب يحبون الشاي حلواً [٢].

الألعاب الشعبية الفلسطينية

نجد الألعاب الشعبية من ناحية اجتماعية ساهمت إلى حد كبير في وضع أسس المجتمع الفلسطيني كما ساهمت في الحفاظ على عاداته وتقاليده وسلوك أفراده حيث نجد الألعاب الشعبية والأغاني والقصص والأهازيج بمثابة الأرض التي تحفظ ما بداخلها من ثروات خوفاً من الضياع وهناك بعض الألعاب المشتركة بين أطفال العالم العربي الكبير لأن الشعب العربي تربطه اللغة والدين والعادات والتقاليد المشتركة ومثال تلك الألعاب[٣]:

- لعبة البنانير أو القيلة والبليه - لعبة الطيارة
- لعبة الوثب العالي أو القفز على الأكتاف - لعبة نط الحبل
- لعبة الشديدة أو التشابه - لعبة الطابة ولا الست أو الهنستا

وتختلف الألعاب الشعبية التي يتسلى بها الصبية في الذهار عن تلك التي يمارسونها في المساء، كما أن ألعاب الفتية تختلف عن ألعاب الفتيات، ففي ساعات الذهار كان الفتية يمارسون ألعابهم المفضلة في حاراتهم، أو في الساحات القريبة من منازلهم، ومن بين هذه الألعاب: القلول أوالبنانير، الحجلة، طاق طاق طاقية الكريكمة ام اللي بتحيي جندر الاستغماية، الغماية قص اعظيم البكاك، لعبة الهوالو هشفت القمر، عالي وطواطا، لمغاطة أوالشعبة سباق الكيس، لعبة الزوايا، لعبة الخارطة، لعبة حاكم جلاد، لعبة علبة كبريت، لعبة العصفور، لعبة كسر البيض، لعبة الحج بج[٤].

سمات وخصائص الألعاب الشعبية

المجتمع الفلسطيني ينقسم إلى أربعة بيئات طبيعية هي البيئة الصحراوية الحارة والبيئة الساحلية والبيئة القروية (الزراعية) والبيئة الجبلية، ولما كانت ثقافة

---

(1)http://www.dr-arzz.net/archive/index.php/t-1801.html

(٢) عزيز شهاب. **مرجع سابق**، ص ١٣-١٥

(٣)محمد سليمان. **مرجع سابق**، ص٥٠.

(4)http://www.palestine- info.net/arabic/hertiage/games/games.htm

أي مجتمع هي ثقافة بيئاته الاجتماعية فإن الألعاب الشعبية هي نتاج تلك البيئات الأربعة و هذه الألعاب مارستها الأجيال السابقة و مازال البعض يمارسها أو يحن لممارستها، وتعتبر الألعاب الشعبية في فلسطين مظهراً ثقافياً لهذا المجتمع لما تتسم به من سمات وخصائص تميزها عن غيرها من الثقافات والتي يمكن ذكرها فيما يلـي[1]:

حرية ممارسة الألعاب: لا نجد إكراهاً أو إلزاماً في ممارسة هذه الألعاب، حيث تمارس برغبة الفتية والصبيان في اللعب، وهذه الألعاب تسير وفق قواعد ثابتة.

غياب الحوافز المادية: لا ينتظر اللاعب من اللعبة التي يمارسها أي مردود أو جوائز تقدم له بل كانت بهدف القضاء على الوقت الضائع وتنمية مهارات جسمية وعقلية.

قوانين وقواعد الألعاب: الألعاب في المجتمع الفلسطيني ليست ألعاباً عشوائية عفوية بل نشأت ضمن قواعد وقوانين ومن يخل بها يخرج من اللعبة وقد يقاطع لفترة حتى لا يكرر الإخلال بهذه القواعد والقوانين شأنها شأن الألعاب الدولية.

تأثير البيئة على الألعاب الشعبية: الألعاب الشعبية هي نتاج للبيئات الطبيعية المختلفة السابق ذكرها.

الإبداع والابتكار من خلال الألعاب الشعبية: في ظل الظروف التي عاشها ويعيشها الشعب الفلسطيني ولعدم وجود الوسائل الترفيهية، كان لازماً على الفتيان والفتيات أن يقوموا باختراع لعبة معينة تصبح بعد فترة شائعة في تلك المنطقة بل وقد تنتقل من مكان إلى آخر.

أغان وأهازيج الألعاب الشعبية: هناك الكثير من الألعاب المصحوبة بالأغاني وخاصة ألعاب الفتيات ترددها اللاعبات أثناء ممارسة اللعبة وهذه الأغاني هي عبارة عن أدب الطفل الفلسطيني فبعضها توارث عن الأجيال السابقة وبعضها تحكي عن طريق الجدة والأمهات.

---

(١)محمد سليمان. **مرجع سابق**، ص٤٧.

شمولية تشابه الألعاب الشعبية.

الأدب الشعبي:

مفهوم الأدب الشعبي

يعد الأدب الشعبي نوع من أنوع الخلق الأدبي الشعبي وأحد أقسام الثقافة الشعبية (الفولكلور)[١] ومن أهم خصائص الأدب الشعبي مجهولية المؤلف، والشفاهية، والانتشار والتداول والمحتوى الثقافي المعبر عن وجدان الجماعة، والبنية والأسلوب الفني واللغة العامية [٢].

ومنذ منتصف القرن العشرين صار مصطلح الأدب العربي في كثير من البلدان العربية ولا سيما مصر يعني أدب العامية بالإضافة إلى أدب الفصحى، وفي فلسطين أستعمل مصطلح الأدب العربي الشعبي الذي يمثل وجدان الشعب ويستخدم اللهجة العربية الفلسطينية الدارجة ويميز بين هذا وبين أدب العامية بالرغم من استخدامها للهجة ذاتها، ويأتي ذلك التمييز متمثلا في أمرين رئيسيين هما: أن الأدب الشعبي يتصف بالشيوع بمعنى أنه شائع على السنة أكثرية من أبناء الشعب وهو عادة مجهول المؤلف، بينما يمكن لأدب العامية أن يصدر عن أي فرد من أفراد الشعب كما نراه مثلا في مواويل أمير الشعراء شوقي [٣].

وبدأ الاهتمام بالأدب الشعبي منذ حزيران ١٩٦٧، فلقد أدى هذا العدوان من ضمن ما أدى إليه تخريب وإحباط إلى تبديد الامكانات الأكيدة التي تشربها المواهب، ولكن ظروف الحياة والواقع، لم تلبث أن تعود إلى إفراز النشاط الإبداعي الذي يتولى عكس هذا الواقع وتطوير حركته وفيما يجد هذا النشاط الإبداعي الإطار الذي يمكن له أن يستوعبه ويوصله إلى أيدي القراء وجماهير الناس، فلابد له أن يتطور بالتفاعل الخلاق مع الواقع، ويواصل انطلاقته المنشودة [٤].

ويضم الأدب الشعبي بالإضافة للمثل والقول المأثور والحكمة والتعبير والمثل السائر وما شابه ذلك من تصنيفات الأساطير والخرافات والحكايات الشعبية والألغاز والنكات

---

(١) إبراهيم عبد الحافظ.**ملامح التغيير في القصص الشعبي الغنائي**. ط١ (جامعة القاهرة: كليةالآداب – مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، مكتبة زهراء الشرق، ٢٠٠١) ص١١.

(٢) أحمد مرسي.**الأدب الشعبي العربي: المصطلح وحدوده**. ندوة التخطيط لجمع وتصنيف ودراسة الأدب الشعبي(الدوحة: د.ن، ١٩٨٤) ص١١٣.

(٣)عبد اللطيف البرغوثي.**الأدب الشعبي العربي الفلسطيني**. ندوة طيبة المثلث (رام الله: جامعة بيرزيت: ١٩٩٤/٨/٢٠) ص٤٥.

(٤) خليل حسونة. **الأغنية والأغنية السياسية الفلسطينية**(غزة: وزارة الإعلام، مكتبة اليازجي ، ٢٠٠٥) ص٤ .

والأغاني الشعبية ومن أشهر أنواع التعبير الأدبية السابقة استخداماً وانتشاراً وحيوية المثل والقول المأثور وهذه الأنواع مجتمعة هي جزء من تاريخ الشعب وثقافة لغته [١].

أهمية الأدب الشعبي

وتكمن أهمية الأدب الشعبي في كونه جزءاً من كيان الأمة وهويتها الوطنية ووجودها الحضاري لهذا وظّف توفيق زيّاد في كتاباته الشعرية مستحضراً الموروث الشعبي الفلسطيني والعربي باعتباره جسراً يربط بين طموحاته ورغباته في الحلول بتراب الأرض والاتصال المباشر بالشعب متمثلاً في حكاياته وأغانيه وعاداته وتقاليده وأمثاله الشعبية وبذلك أصبح للقصيدة حضور فاعل ضد محاولات طمس التراث الفلسطيني وسرقته التي يمارسها الإحتلال الإسرائيلي لذفي الشعب الفلسطيني عن مقوماته الحضارية والإنسانية وخير مثال على ذلك قيام الإسرائيليين بسرقة الأزياء الشعبية الفلسطينية من خلال اعتماد الثوب الفلسطيني زياً رسمياً لمضيفات الطيران الإسرائيليات [٢].

---

(١) سيد عليان. **أمثال وأقوال في حياة اليهود.** ط١ (القاهرة: مكتبة مدبولي ،١٩٩٧) ص٤.
(٢) عبد اللطيف البرغوثي. **ديوان العتابا الفلسطيني**(بيروت: مركز الوثائق والأبحاث، ١٩٨٦)ص٤٨.

أهداف الأدب الشعبي

ومن الأهداف التي يحققها الأدب الشعبي في أي ثورة تحريرية التعبئة الثورية والتحريض والشحن بالقوة لمجابهة اليأس والقنوط والإحباط والاستسلام، وكذلك الشحن بالأمل في النصر وخلق الثقة في المستقبل وخلق الرأي العام وتكوين الوعي وتطوير الثقافة الإنسانية وإغنائها بنصوص من الأدب الشعبي الراقي تضاف إلى رصيد الإنسانية [١].

علاقة الشاعر والأدب بالتراث

إن علاقة الشاعر بالتراث هي علاقة استيعاب وتفهم وإدراك واع للمعنى الإنساني والتاريخي للتراث ، وهو موقف يكتسب صفته هذه من ارتباطه بأحد بعدين: الإنساني والتاريخي ، ومن هنا يصبح الشعر الغنائي كياناً يعيش التراث في ثناياه ، كياناً بنائياً مقصوداً إليه قصداً، والشعر الشعبي شعر غنائي بطبيعته وهو نوع من الشعر الحديث ، اقترن بالغناء منذ عصر مبكر في تاريخنا الأدبي وحفل كتاب الأغاني للأصفهاني بألوان الشعر الغنائي الذي تغني به المغنون خلال القرون الأربعة الأولى للإسلام وهو الكلام المنظوم باللهجة الدارجة سواءً كان على شكل أغان سعيدة أو حزينة أو على شكل قصائد " يعدها " الشعراء الشعبيون[٢].

والموروث الشعب الفلسطيني من خلال نصوص يُظهر أن الإنسان الفلسطيني هو صاحب الأرض وتدعوه إلى العمل والفعل، فالشاعر يريد أن يجعل من الزيتونة الفلسطينية سجلاً للذاكرة والمأساة الفلسطينية، ولهذا فهو يحرص في توظيفه للمثل الشعبي على تسجيل ذلك من الحبة إلى القبة لكي يرسم خارطة متكاملة للتاريخ الفلسطيني المعاصر تكون سراجاً للأجيال القادمة [٣].

المواسم في التراث الشعبي

الموسم فرح جماعي يختزنه وجداننا وذاكرتنا الشعبية، وقد سكن في الحس الشعبي شعوراً بالبهجة، وأطلق لحناً من الماضي مملوءاً بالحنان والنداوة، وهو

---

(١) عبد العزيز الشويط. **دور النشيد الشعبي الجزائري في معركة التحرير الكبرى**. ط١ (الجزائر: دار أمواج للنشر، ٢٠٠٥) ص٥٥.

(٢) عبد اللطيف البرغوثي. **مرجع سابق**، ص ٤٨.

(٣) http://www.birzeit.edu/news/news-d?news_id=78200

علاقة مع القديم مربوطة بالخصب والولادة والإنتاج مملوءة بالخضرة والوفرة والماء [١].

ربط المواسم الشعبية بالواقع الحياتي وبالظروف الاقتصادية والاجتماعية:

ترتبط المواسم بانتقال الإنسان من زمن الصيد إلى زمن الزراعة، حيث يصبح لزاماً عليه أن يعرف مواعيد المطر ودخول فصل الشتاء وأوقات الحصاد والزراعة والحرث، وأزمان القطاف ومواقيت التدبيس، ويصبح بحاجة لتعيين مواعيد ظهور الشمس وغروبها وموسم ذلك وللمواسم أوقات معينة يتجمع الناس بها لتقرير أمر حول الزراعة وقضياها وأثناء هذه الاجتماعات يتطرق الناس إلى عدة أمور يتدارسونها ويضعون حلاً لها ويشتركون سوياً في حالات الفرح لحلول فصل أو حين هطول المطر وفي موسم الحصاد وفي (الجورعة) يتحول هذا الفرح إلى أغان وأهازيج ودبكة وتقام سهرات خاصة يبحثون فيها نقاطاً عديدة من النقاط اليومية التي تعترضهم والتي يريدون لها أن تتحقق في المستقبل ويربطون ذلك بالإمكانيات والواقع بالحركة الصراعية بين المالك وغير المالك، ويستمر البحث يوماً بعد يوم عن معطيات جديدة لزيادة الإنتاج ولكشف وسائل إنتاج أخرى [٢].

---

(١) محمد رمضان. **المقاييس في التراث الشعبي**. ط١ (دمشق: دار يعرب للدراسات، ١٩٩٢) ص١١٩.

(٢) **المرجع السابق**، ص١٠٧-١٠٨.

التراث المادي

التراث المعماري

من المعروف أن هذا العالم يتكون من مجتمعات لكل منها شخصية اجتماعية متميزة ومرتبطة بتاريخه وبيئته الطبيعية الاجتماعية وجنسه العرقي والعلاقات الفردية والجماعية فيه وتطوره التاريخي واحتكاكه الاجتماعي والثقافي بالمجتمعات والثقافات والتيارات الفكرية المختلفة كما أن الوعي الذاتي للشخصية الاجتماعية هو الوعي التاريخي لهذه الشخصية ومعرفة البنية المادية والمعنوية لمجتمع يعني فهم ثقافته حيث أن ثقافة القوم هي مزيج من الجو الفكري المادي والروحي والاجتماعي لهم كما أنها تشمل روحهم وعواطفهم وحاجاتهم وآلامهم ومتاعبهم وأمانيهم وطموحاتهم.

وعلى ذلك فإن دراسة التراث الذي يشكل المعمار جزءاً هاماً واسعاً منه يعتبر من الدراسات الخاصة بدراسة ثقافة هذا الشعب وتاريخه حيث أن كل جزء من هذا المعمار يحكي تاريخاً شاملاً لهذا الشعب و هذه الأمة ويحكي أخبار ها بكل تفاصيلها [١].

والتراث المادي هو عبارة عن أنماط الممارسة الحياتية من خلال وسائل العيش والتكيف للبيئة المادية التي تحيط بنا، ولقد كان الأباء والأجداد لا بل وقد كنا ومازال بعضنا على صلة عضوية بهذا التراث المادي [٢].

من هنا يبرز دور بحث وتطوير التراث بشقيه العضويتين المادية والروحية أو الفكرية لأن هذا يؤدي إلى انفعال وعينا بتراثه من خلال تسلسله التاريخي، ولأن هذا يؤدي إلى مناعة فعالة ضد الاغتراب والتقوقع وضد الانخداع ببريق " الفكر الحديث " دون هضمه وجعله منسجماً مع ذاتنا المتجددة من خلال أصالتنا، وبالذات من هذه المرحلة التي تعيشها الذات الفلسطينية، فإن من الضروري أن نغذي هذه الذات بمضامينها العضوية لتكمل انطلاقتها متجددة بأصالة كأسرة للأطواق المفروضة بشكل مباشر أو غير مباشر ولمنع خطر التأطير السياسي الشكلي الذي يخلو من مضمون أصيل، وإن التأطير السياسي أو الطموح إلى التجسيد السياسي للشخصية الجمعية يجب أن يكون ملتحماً من إنعاش لمضمون أصيل متجدد لهذه الشخصية من حيث البعد التراثي المتفاعل مع البعد العصري والبعد المستقبلي[٣].

---

(١) عمر حمدان. **العمارة الشعبية في فلسطين. تحرير:** ناجي عبد الجبار ومروان أبو خلف (البيرة: مركز التراث الشعبي، د.ت) ص١٣.

٢) سامي مرعي. **مرجع سابق،** ص٧.

(٣) **المرجع السابق**. ص١١.

ولا يقل التراث الأثري والمعماري أهمية عن التراث الفكري الموجود في المخطوطات، ويتمثل التراث الأثري والمعماري في المساجد والقصور والحمامات والسدود والقلاع والحصون والأبراج والأسوار، ويحتاج هذا النوع من التراث إلى جهود تبذل للكشف عنه وترميمه وإصلاحه، والمحافظة عليه، ومما لا شك فيه تعد المعالم الأثرية ثروة قومية يجب حمايتها لصالح حضارتنا العربية العريقة وهناك التراث الفلكلوري المتمثل في الرقصات الشعبية والأناشيد والأغاني والمأثورات والأمثال وحلقات الذكر والأساطير والحكايات.

تراث فلسطين الأثري

تراث فلسطين الأثري، كما التراث الأثري في كل مكان، مورد ثقافي لا يُعوض، ومع أن فلسطين التاريخية هي من أكثر المناطق التي تم التنقيب فيها أثرياً على مستوى العالم، إلا أن الحاجة لا تزال ماسة إلى حماية تراثها الحضاري وإدارته بشكل صحيح بعد التدمير الذي تسببت به عقود من الاضراب السياسي والعنف الدموي، فمنذ احتلال إسرائيل للضفة الغربية وقطاع غزة في سنة ١٩٦٧ بقيت الأراضي الفلسطينية المحتلة مهملة نسبياً من جانب علماء الآثار بينما استمر وتوسع التنقيب الأثري في الدول المجاورة كالأردن ومصر وإسرائيل وقبرص واليونان وغيرها.

وتتنوع التهديدات والتحديات التي تواجه التراث الثقافي الفلسطيني، إلا إنها تشترك في جديتها وصعوبة حلها، بعض هذه الأخطار ذاتي، محلي المنشأ، مثل التنقيب غير القانوني وغياب القوانين الوطنية التي تحمي الآثار، وضعف الاهتمام الرسمي والشعبي بهذا الأمر وبعضها الآخر يمتثل في الاتجار بالآثار، وقوانين الآثار الإسرائيلية، وسلسلة المستعمرات والطرق الاستيطانية والمعسكرات والجدران، والأسوار وأبراج الحراسة التي تبنيها إسرائيل على امتداد الضفة الغربية، ولا شك في أن أحد المستلزمات الرئيسية لمواجهة هذه التحديات وصولاً إلى اعتماد خطة وطنية شاملة لحماية تراث فلسطين الثقافي، يكمن في تحليل مفصل لهذه الأخطار في ظل وضع سياسي واقتصادي معقد للغاية[١].

التنقيب غير القانوني: نهب للذات

التنقيب غير القانوني عن الآثار قديم قدم التاريخ ذاته، وخصوصاً في الدول التي يعود تاريخ الاستيطان فيها إلى آلاف السنين، كما هي الحال بالنسبة لفلسطين والدول المجاورة، لكن تفاقمت هذه المشكلة هنا في العقود الاخيرة بسبب غياب

(١) عادل يحيي. **آثار فلسطين بين النهب والإنقاذ**. في: مجلة الدراسات الفلسطينية. تصدر عن مؤسسة الدراسات الفلسطينيةبيروت. ع ٧٦. خريف ٢٠٠٨، ص١٢٨.

الاستقرار السياسي، وتسلط الحكم الاجنبي على مقدرات البلد، فبحسب المسوحات الأثرية التي قامت بها سلطات الانتداب البريطاني في ثلاثينيات القرن الماضي، ضمت فلسطين التاريخية (إسرائيل، والضفة الغربية وقطاع غزة) ما مجموعه ٣٥ ألف موقع أثري كبير وصغير (مدن، قرى، تلال، كهوف مقالع حجارة، أبراج، معابد، كنائس مساجد وغيرها) تعود بتاريخها إلى الحقب التاريخية وما قبل التاريخية كافة [١].

(1) David llan, U. Daheri and G. Avni, **"Plundered! The Rampant Rape of Israels Archaeological Sites"** Biblical Archaeological Review (2008 March/ April) pp. 38-41.

انظر إلى الجدول رقم (٨).

جدول رقم (٨)
المواقع والمعالم الآثرية المعروفة في الأراضي المحتلة عام ١٩٦٧
(القدس الشرقية، الضفة الغربية، قطاع غزة)

اسم المنطقة	حجم المنطقة (كم٢)	عدد القرى الأثرية الأساسية	عدد المواقع الأثرية	عدد المعالم	العدد الإجمالي
بيت لحم	٥٨١	٧١	١٣٦	١٢٢٨	١٣٦٤
غزة	٣٧١	٤٢	٤٤	١٤٠	١٨٤
الخليل	.0681	١٥٦	٣٥٧	١٨٥٩	٢٢١٦
جنين	٥٨٦	٩٦	٢١٢	٥٣٧	٧٤٩
أريحا	٦٤٩	١٦	٧٦	٤٥١	٥٢٧
القدس	٣٣٢	٥١	١٨١	١٣٨٦	١٥٦٧
نابلس	٥٦٩	٧٣	٢٧٧	١٠١٥	١٢٨٢
قلقيلية	١٥١	٣٥	٥٣	٤١٨	٤٧١
رام الله	٧٨٢	٨٠	٣٤٧	١٧٨٨	٢١٣٥
سلفيت	٢٠١	٢٣	٨٦	٦٦٢	٧٤٨
طوباس	٤١٥	٢٣	١٣٠	٣٥٩	٤٨٩
طولكرم	٢٦٣	٤٢	١٠٠	٣٨٥	٤٨٥
المجموع	٥٩٦٨	٧٠٨	١٩٨٨	١٠٢٢٨	١٢٢١٦

قوانين الآثار وتأثيرها في التراث الثقافي الفلسطيني

يعود جزء كبير من مشكلة سرقة الآثار في الاراضي الفلسطينية إلى قوانين الآثار المعمول بها في كل من المناطق الفلسطينية وإسرائيل، فقانون الآثار الإسرائيلي الذي يحظر الحفريات غير المرخص بها، يسمح ببيع الآثار والاتجار بها، ذلك بأن سلطة الآثار الإسرائيلية تصدر نحو ٣٠٠ رخصة تنقيب عن الآثار في إسرائيل سنوياً، كما تصدر ما بين ٧٠-٨٠ رخصة للاتجار بها [١].

وهكذا، فإنه في المناطق التي تكون سلطة الآثار الإسرائيلية مسؤولة عن تطبيق القانون أي في إسرائيل والقدس المحتلة، فإن الحفريات غير الشرعية تكون قليلة، وعرضة للعقاب في المحاكم، أما في الضفة الغربية وغزة حيث لا دور لسلطة الآثار والشرطة الإسرائيليتين، فإن الحفريات تجري بحرية شبه تامة، والقائمون بها يفلتون من العقاب، كما تقول (موراغ كيرسل) في مقالتها بعنوان: " المتاجرة بالآثار الفلسطينية " (The Traed in Palestinian Antiquities) والمنشورة في الـ Jeruseliem Quarterly العدد ٣٣، سنة ٢٠٠٨ و هذا ما يفسر جزئياً على الأقل، كيف أن أغلبية الآثار المعروضة في سوق الآثار اليوم، إن لم يكن كلها، مصدرها الضفة الغربية، وذلك بشهادة الإسرائيليين أنفسهم فقد صرح حنانيا حزمي نائب مدير دائرة الآثار الإسرائيلية التابعة للإدارة المدنية الإسرائيلية في الضفة الغربية لصحيفة " الجيروزالم بوست " في تموز/يوليو ٢٠٠٥: " بأن الآثار المعروضة في السوق جميعها تأتي من القرى العربية، أو من المناطق التي تسيطر عليها السلطة الفلسطينية [٢].

ولا شك في أن الاضطراب السياسي الذي يعصف بالمنطقة منذ اندلاع انتفاضة الأقصى في سنة ٢٠٠٠ فاقم هذه المشكلة أكثر، فقد انتهى فعلياً التعاون الذي كان قائماً بين شرطة الآثار الفلسطينية ونظيرتها الإسرائيلية، وأدى انهيار السلطات الامنية في المناطق الفلسطينية لاحقاً مصحوباً بتفاقم كبير لمشكلات الفقر والبطالة، إلى زيادة عدد لصوص الآثار الذين صاروا يعملون على مدار الساعة وفي مختلف مناطق الضفة الغربية، ونتيجة ذلك، حقق التجار الإسرائيليون أرباحاً هائلة

---

(1) Mark Schulman, **"Rise in Antiquities Theft Vexes Israels Indiana Joneses"** Christian Science Monitor, 14 November, 2001, http//www.csmoitor.com/2002/1114/p18s01-stgn.html.

(2) Orly halpem**, "Palestinians: Israel to Steal Artefacts"** The Jerusalem Post , 21 July, 2005.

وازدهرت سوق الآثار في إسرائيل بصورة ملحوظة، وفي سنة ٢٠٠٠ قدرت قيمة تجارة الآثار لـ٨٠ تاجراً إسرائيلياً ذوي رخصة بنحو ٥ ملايين دولار [١].

الأماكن المقدسة

مدينة القدس

القدس مدينة تاريخية قديمة، لا بل إنها من أقدم المدن التي عرفها التاريخ، و هي جزء عزيز على العالمين العربي والإسلامي، وقد أجمعت كتب التاريخ والآثار على أنها كانت عربية السيادة قبل ظهور الديانات السماوية الثلاث، وإن أهلها الأصليين هم عرب كنعانيون سكنوها قبل ٥٠٠٠ سنة اسمها الأول "يبوس" نسبة الى اليبوسيين بناة القدس الأولين، وهم من العرب الأوائل نشئوا في الجزيرة العربية و ترعرعوا في أرجائها، مر منها سيدنا إبراهيم الخليل -عليه السلام- حوالي سنة ١٣٠٠ قبل الميلاد، ووجد فيها ملكا عربياً اسمه ملكي صادق ودفع له جزية مرور عمّا كان يملكه من مواش ومتاع [٢].

ولقد جمعت القدس من الآثار المقدسة الكثير، حتى أصبحت على مر الأجيال مقدسة بترابها شجية بتاريخها، فريدة بما يرقد في ترابها من عظام الشهداء والمؤمنين.

وقد حوصرت مراراً ودمرت تكراراً، وأعيد بناؤ ها ثماني عشرة مرة في التاريخ، وذاق أبناؤها العذاب أشكالاً وألواناً غير أنها على الرغم مما أصابها ظلت قائمة في هذا الوجود، وظل اسمها مذكوراً في طليعة المدن والبلدان، وشاركت في صنع التاريخ الإسلامي والعربي في عظمته ونهضته الحديثة، فتحها الخليفة عمر بن الخطاب سنة ١٥ للهجرة أعطى أهلها الأمان بالوثيقة المعروفة بالعهدة العمرية، كما خلصها القائد صلاح الدين الأيوبي من الصليبيين سنة ١١٨٧م ٥٨٣ هجري ومن أشهر معالمها المسجد الأقصى المبارك أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين المسجد الذي أسري إليه بالنبي محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقبة الصخرة وكنيسة القيامة [٣].

المقامات وأهمية انشاؤها

---

(1) Deborah Sontag**, Stealing Millennial Loot in Israel, from** 2 **Millennium Ago**, 2000, http://www.Libraray.cornell.edu/Colldev/mideast/judmill.htm.

(2)http://mukabbergirls.net/viewpage.asp?ID=72

(3) http://www.gulfkids.com/ar/index.php/show_res/28/462

يعتبر مقام النبي موسى عليه السلام - قرب أريحا - من أهم مقامات فلسطين بسبب ضخامة أبنيته، وتاريخه القديم، وشهرته الواسعة بسبب موسمه ودوره في تاريخ فلسطين الحديث، في عهد الانتداب البريطاني، وقد حظي هذا المقام باهتمام بالغ من قبل المماليك والعثمانيين، ومن تلاهم فأنفقت عليه الأموال لتوسيع أبنيته، وترميمها وإطعام الزوار وإحضار الماء لهم، فكان من أهم أولويات المشرفين على أوقاف القدس في العهد العثماني، كما تظهر ذلك سجلات المحكمة الشرعية بالقدس المتعلقة بمقام النبي موسى فقد أوقف سلاطين المماليك، أراضي كثيرة وواسعة على المقام وكذلك أنفق العثمانيين أموالاً طائلة للموسم والمقام لما لعبته هذه المقامات من دور ديني وترفيهي وسياسي، في العهود السابقة، فهدف الحكام إلى إرضاء العامة، بإنشاء هذه المقامات، في الوقت الذي تخدم فيه سياسة الحكام بتثبيت المسلمين في فلسطين، واستمرار يقظتهم وتربصهم بالعدو، إذا ما فكر في القدوم إلى البلاد المقدسة، والسيطرة عليها، كما حصل في الفترة الأيوبية [١].

أسباب إنشاء المقامات

إن من أهم أسباب إنشاء المقامات، كان إحياء ذكرى صاحب المقام، لإبقائها خالدةً في وجدان الناس، ولإظهار إسلامية البلاد وتشجيع الناس على الاستقرار بها، وحثهم على محاربة الأعداء، أما الأسباب الخاصة والكامنة وراء إنشاء مقام النبي موسى عليه السلام فهي لا تتعدى الأسباب التالية:

- إظهار إسلامية صحراء القدس (الممتدة إلى البحر الميت) والتي اشتهرت بوجود أديرة وقلالي للنصارى في هذه المنطقة، فعندما زار الظاهر بيبرس هذه المنطقة هاله ذلك وأمر بهدم القلالي[٢] وإنشاء مقام النبي موسى كرمز لإسلامية المكان.
- تخليد ذكرى النبي موسى عليه السلام وهو من أولي العزم من الرسل، يحظى بتبجيل واحترام المسلمين، حيث كان لسيدنا موسى عليه السلام أثر في تخفيف الصلاة على المسلمين وإنقاص عدد ركعاتها، ولذلك ليس غريباً إقامة مكان لذكراه والتبرك بقبره [٣].
- بناء مزار للنبي موسى عليه السلام في هذا المكان، ليؤمه الناس في وقت محدد من السنة.

---

(١) خالد مراد. **مقام النبي موسى**. ط١. (نابلس: دار الفاروق، ١٩٩٩) ص٢٢.
(٢) مجير الدين الحنبلي. **الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل**. ج٢. د.ت، ص٨٧.
(٣) **حديث شريف "** مررت على موسى ليلة أسري بي عند الكثيب الأحمر **"**. صحيح مسلم. ج١. ص١٠٢.

- ليكن تقليد زيارة المقامات الخاصة بالأنبياء والصالحين تقليداً إسلامياً يقتصر على المسلمين [١].
- إبعاد أنظار العامة عن السياسة والحكم والحكام، وإشغالهم بالاحتفالات والطقوس الدينية والترفيهية.
- كان السلطان الظاهر بيبرس، أول سلاطين المماليك البحرية (١٢٥٩/١٢٧٧م)، قد تميز بوعيه، وبعد نظره في مجريات الأمور من حوله، وبإنشائه المقام، يلفت نظر الرعية باهتمامه بالرموز والإشارات الدينية، مما يمكن اعتباره عملاً دعائياً، لكسب ثقة الرعية فبناء المقام تعني للعامة، إقامته لشعائر الدين، إتباعا لسنة الأيوبيين أسياد المماليك.

ولكل أمة من الأمم أعيادها ومناسباتها، ولكل شعب من الشعوب مواسمه وتقاليده الدينية والوطنية التي يفتخر بها، ويتوجب الحفاظ عليها.

أما الفلسطينيون فلهم مناسبات لا تحصى سواءً كانت دينية أو سياسية أو مأساوية وذلك بسبب موقع فلسطين الاستراتيجي الهام، ولتزاحم الدول والجيوش على اتخاذ موطئ قدم لها في فلسطين.

وليست المناسبة التي يحيي فيها الفلسطينيون موسم النبي موسى، عليه الصلاة والسلام إلا واحدة من تلك المناسبات العديدة ومن أشهرها وأكثرها إثارة للمشاعر وإلهاباً للعواطف، تلك سيرة صلاح الدين الأيوبي بطل حطين، وهازمة الفرنجة المعتدين، ومثبت منبر نور الدين في قبلة المسجد الأقصى المبارك بعد طرد الأعداء من رحابه الشريفة وما بارك حوله من أرض طاهرة [٢].

---

(١) ابن فضل الله العمري. **مسالك الإبصار**. ص٢٥٤.
(٢) محمد رمضان. **مرجع سابق**، ص١١٩.

المواقع المقدسة في الأماكن العالية

تقع المواقع المقدسة، بشكل رئيسي في أماكن مرتفعة على قمة جبل أو تل أو رابية في السهل وبصورة تجعلها تسيطر على المنطقة المجاورة، وحتى تلك المزارات التي تبني على منحدر جبل أو بالقرب من مجرى الوادي، فإنها تبنى بحيث تسيطر وتشرف على المنطقة المحيطة بها، وبحيث ترى من مكان بعيد، وبالمقارنة فإننا نجد القليل من " الأولياء" ممن شيدت مزاراتهم في الوديان، وعندما يوجد مثل ذلك البناء يكون عند ملتقى واديين، أو في مكان يوسع الوادي فيه مجراه، ليصبح بالإمكان رؤية المقام من مسافة بعيدة من اتجاهات مختلفة [1].

❖ علاقة المزار بالأماكن المأهولة بالسكان

المواقع المقدسة في فلسطين لا تحصى، ففي كل القرى تقريباً، على الجبال وفي الوديان وفي الحقول، نرى تلك المواقع، وبالكاد تكون هناك قرية، مهما صغرت لا تكرم قديساً واحداً على الأقل وبصورة عامة فإن كل مكان مأهول يفاخر بأن لديه الكثير، وعلى سبيل المثال: فإن (عورتا) تمتلك أربعة عشر مزاراً، أحد عشر منها في القرية نفسها، وثلاثة في الخارج على مسافة قريبة منها وفي (عناتا) هناك سبعة مواقع (٢).

كما أن هناك عدد هائل من المزارات، والعديد منها ينتمي لمدينة ذات حجم معقول، ولا يمكن رؤيتها بسهولة، لأنها ليست على قمم الجبال، كما هو الحال في القدس، ويبدو أنه لم يراع الاعتبارات المهمة، والتي تجعل معظم مزارات القدس غير مرئية:

١) إن المزارات المبنية لمعظم الأولياء داخل المدينة ذات بناء منخفض، وعلى أسطحها بنيت البيوت مثل: بيرم شاويش والشيخ ريحان والشيخ حسن القيرمي.
٢) إن ازدحام البيوت في وسط المدينة يخفي المزارات التي لم يبق فوقها.
٣) إن معظم المواقع المقدسة في منطقة الحرم، تقع داخل جدران المسجد الأقصى ومسجد عمر، ومن الطبيعي ألا ترى.

ومن ناحية أخرى فإن القسم الأكبر من المزارات الواقعة خارج أسوار المدينة، يمكن رؤيتها بسهولة مثل: الشيخ أحمد الثوري وسعد وسعيد والشيخ جراح والشيخ عكاشة وغيرها.

---

(١) توفيق كنعان. **الأولياء والمزارات الإسلامية في فلسطين**. منشورات وزارة الثقافة الفلسطينية (رام الله: دار النشر الفلسطيني، ١٩٩٨) ص٢٥.
(٢) توفيق كنعان. **المرجع سابق**،ص٢٥.

البيت الفلسطيني تصميمه ومكوناته

كانت المساكن في الماضي بسيطة ومتواضعة، وبخاصة في القرى والمدن الصغيرة والتي هي أقرب إلى حياة الريف منها إلى حياة الحضر، فكثير من البيوت كانت تبنى من كتل من الطين والتي كانت تصنع في قوالب خاصة، وحتى يزداد تماسك هذه الكتل كان يضاف إلى الخلطة الطينية كميات مناسبة من سيقان الحبوب (كالقمح والشعير) المدقوقة والتي تسمى «قصل».

وفي المناطق الساحلية من فلسطين شاع بناء المنازل المشادة من حجارة «طابوق» إسمنتية تصنع في قوالب خاصة، أما في المناطق الجبلية حيث يسهل الحصول على مواد البناء فقد شيدت المنازل من حجارة تستخرج من محاجر في الجبال، ويقوم على قطعها وتقطيعها وتشذيبها رجال مختصون[١].

البيت: هو المكان الذي يأوي إليه الإنسان بعد عناء العمل، وهو رمز لوحدة الأسرة وأمنها واستقرارها، وقد يكون البيت مصنوع من شعر الماعز " خيمة بدوية " أو من أغصان الشجر كأكواخ المزارعين، ومن الطوب المصنوع من الطين أو من الحجر إن كان صخراً أو مصنوعاً من الأسمنت كما في المدن والقرى الحديثة، وعندما تبني الأسرة بيتها يعم الفرح والسرور لدى الأسرة والأهل وتذبح الذبائح، والبيت على أنواع وأشكال منها [٢]:

- المغارة: وهي عبارة عن فراغ أو حفرة طبيعية داخل الصخر في المناطق الجبلية.
- الكوخ: وهو مصنوع من أغصان الأشجار وفروعها والقش والقصاب.
- الخيمة أو بيت الشعر: وهي هيكل طويل به عدة أقسام هي: المحرم وهو القسم المخصص للحريم والأبناء الصغار، والشق وهو المكان المخصص لجلوس الضيوف وبيت الشعر يصنع من شعر الماعز، وفي العادة المرأة هي المكلفة بصناعته.

وكانت الدار غالباً تتخذ الشكل المستطيل، وتبنى الغرف على أحد أضلاعه أو على بعض أو كل أضلاعه، وتتوسط الدار ساحة مكشوفة تسمى صحن الدار تستخدم في عدة أغراض كأن تزرع ببعض الأزهار والشجيرات لتكون حديقة للدار والتي يجلس فيها أهل الدار ويستمتعون بشمس الشتاء الدافئة، وبنسمات الربيع المنعشة، ويقضون فيها كثيراً من ليالي الصيف حيث يسمرون وبخاصة في الليالي المقمرة، وكثيراً ما كان يفصل بعض حجرات الدار صالة مفتوحة ودون حائط من الأمام وإنما

---

(١) محمد الفرا. **تراث فلسطين** (عمان: دار الكرمل، ١٩٨٩) ص٤٣.
(٢) مروان أبو سويرح. **مرجع سابق**، ص١١٩.

تزينها عقود من الحجر، وكان يطلق على هذه الصالة «ليوان» وجمعها «لواوين» وربما كان أصلها من الايوان، ويستخدم الليوان في الولائم والمناسبات والأفراح[١].

بيت الطين: وهو البيت المبني من اللبن حيث يقوم البدوي أو القروي بإعداد الطوب بوضع الطين داخل قالب من الخشب بالحجم والسماكة المطلوبة ثم يجفف الطوب بتعريضه لأشعة الشمس وقد يحرق ليكتسب صلابة ولا ينكسر بسهولة، والبيت الطيني لم يكن عالياً ولا كبيراً، فهو مكون من غرفة أو اثنتان، ويحيط به سور بسيط من الطوب الطيني.

وكانت أسقف البيوت تصنع من الأخشاب وأغصان الأشجار وفوقها طبقة من الطين الممزوج بالقصب، وهذا النوع من الأسقف كان شائعاً في المساكن المصنوعة من الطين والتي كان يشترط صيانتها كل عام، وعقب أول تساقط للأمطار في تشرين أول (أكتوبر) والتي كان يطلق عليها «مطر الصليب» كان الناس يعتقدون أن هذا المطر هو بمثابة تحذير لهم وإشارة على بدء موسم الشتاء فالناس يتركون البر، ويعودون إلى منازلهم الدائمة، كما يقومون بتفقد بيوتهم وصيانتها حتى لا تُداهمهم الأمطار وتسبب لهم الأضرار، وكانت أسقف بعض البيوت على شكل عقد من الحجارة الصغيرة المثبتة بالجص على هيئة الأسواق القديمة المسماة بالقيصريات، لأن هذا النمط من البناء يرجع إلى العهود الرومانية [٢].

وفي داخل بعض الغرف كانت توجد في إحدى الحيطان ما يشبه الخزانة دون أبواب وإنما تستخدم ستارة من القماش لحجبها، ويطلق عليها «يوك» وهي على ما يبدو كلمة تركية ويستخدم «اليوك» في حفظ اللُحف والمخدات ومرتبات «فرش» النوم والملايات والأغطية ونحوه إذ كان معظم الناس ينامون على الأرض دون استخدام للأسرة، وفي بعض الأحيان يقوم بعض الناس ببناء غرفة فوق إحدى غرف الدار تسمى «علّية» نظراً لعلوها عن باقي الغرف وتستخدم في النوم في ليالي الصيف الحارة، أو تستعمل مثل صالة حيث ينفرد بها صاحب الدار بزواره من الرجال، ويمكن الصعود إلى هذه «العلية» بواسطة درج بسيط يسمى «سلملك» وهي أيضاً كلمة تركية، ومن أجل الحماية، وخشية من وقوع الناس وبخاصة الأطفال كان يوضع عليه درابزين، والذي كان يطلق عليه «حضير» وهي على ما يبدو تحريف لكلمة حذر لأنه يحذر ويمنع الناس من السقوط، وكان أثاث البيت بسيطاً للغاية ويتألف من البسط الصوفية في فصل الشتاء، والبسط القطنية في الصيف،

---

(1)http://www.palestine-info.net/arabic/hertiage/home/home.htm

(٢) محمد الفرا. **مرجع سابق**، ص٤٣.

وتسمى «قياسات» ومفردها «قياس» وكذلك كانت تستخدم السجاجيد العجمية وبخاصة في بيوت الموسرين من الناس[١].

كما أن العمارة القديمة والبيت القديم تتعرضان وبشكل عنيف إلى التدمير من خلال عمليات تحديث القرى والمدن وتنظيمها وتجديدها، حيث أن البيوت القديمة هجرت ولم ترمم كما أن الكثير منها آل إلى التهدم في وقت لا يوجد فيه أي اهتمام من قبل المسئولين في المؤسسات الوطنية بهذه البيوت وعدم الوعي الوطني لأهمية هذه الأبنية من الناحية التاريخية والتراثية حيث أن هذه الأبنية تعتبر جزءاً من الثروة الوطنية إذا لم يحسن استثمارها في هذه الأيام فالتفريط فيها يحرم الأجيال القادمة منها، وهذا الوضع يهدد باندثار هذه المخلفات وانقطاع الصلة الوجدانية للشعب بتراثه وماضيه وتاريخه وجذوره الحضارية، ولما كانت المخلفات العمرانية والتراث المعماري جزءاً من تاريخ وحضارة هذا الشعب فلابد من مضاعفة الاهتمام بهذا التراث وبخاصة من المهندسين نقابة وكليات وجامعات مؤسسات وأفراداً على المستويين الأهلي والرسمي كما أن هذا الأمر يقع ضمن دائرة مسؤولية السلطات المحلية والمجالس البلدية التي لها اليد الطولي في الإشراف على النمو العمراني وتنظيمه وعليه يقع على عاتق كل مجلس محلي وبلدي مسؤولية الحفاظ على البنايات القديمة الهامة وترميمها وتوظيفها كمرافق سياحية أو عمل متاحف شعبية أو مقرات لبعض المؤسسات المهتمة بهذه القضايا لتبقى هذه المخلفات شاهداً لنا على مر الأيام[٢].

وفي الغالب كانت تزين حجرة الجلوس بقطع من السجاد الموشى بزخارف جميلة، أو بآيات قرآنية، وكان من يدخل إلى غرفة الجلوس يخلع حذاءه عند عتبة الحجرة ثم يجلس على حشية من حشيات القطن، وفي فصل الشتاء كان «كانون النار» جزءاً من مكونات حجرة الضيوف، وفي فصل الصيف وحينما يشتد الحر، كان كثير من الناس يبنون في ساحة الدار عريشاً من الخشب، ويغطى سقفه بسعف النخيل أو بأوراق العنب المزروع من حوله ويقضون في العريش أو كما يسمى «العريشة» أوقاتاً يكون فيها المكوث في الحجرات صعباً من شدة الحر، وفي وسط الدار كان يُبنى خزان أسمنتي صغير يسمى «بُتيِّة» لخزن المياه التي يستخدمها أهل الدار، أما الزير فكان يوضع في مكان ظليل، ويخصص للشرب فقط وفي بعض البيوت كانت تحفر آبار للحصول على المياه الجوفية وبعضها كان يستخدم لتجميع مياه الأمطار وتخزينها [٣].

---

(1)http://www.palestine-info.net/arabic/hertiage/home/home.htm

(٢) عمر حمدان. **مرجع سابق**،ص ١٤.

(3)http://www.palestine-info.net/arabic/hertiage/home/home.htm

أدوات تراثية فلسطينية

ورث الإنسان الفلسطيني أدوات تراثية بسيطة، وهي تدل على قدرة الإنسان الفلسطيني على الانتفاع بمواد البيئية الأولية، وتسخيرها لصنع ما يلزمه من أدوات في جميع مرافق حياته كما أنها تثبت عمق روابط الإنسان الفلسطيني الحاضر بأجداده وتبين تطوره الحضاري الطبيعي في مجال الصناعات اليدوية، ونشير إلى أهم هذه الأدوات:

أولا: أدوات المعادن: يشمل هذا النوع من الأدوات جميع الأدوات التي يصنعها الفلسطيني من مواد الحديد والقصدير والنحاس والمعادن الأخرى [١].

أدوات المطبخ البدوي[٢]:

- الباطية: وعاء مصنوع من الخشب يسكب الطعام فيه.
- الصينية: وعاء مصنوع من النحاس، ويستعمل للمنسف.
- اللقان: وعاء عميق مصنوع من الفخار أو الخشب أو الألمذيوم ويستعمل لعجن الدقيق لصناعة الخبز.
- الزبدية: وعاء صغير مصنوع من الفخار تشبه الصحن يقدم فيها الأكل.
- القدر: وعاء كبير للطبخ بأحجام مختلفة، ويصنع من النحاس والألمنيوم.
- المغرفة: أداة مصنوعة من الخشب أو النحاس أو الألمنيوم تشبه الملعقة ولها ذراع طويل لتحريك الطبيخ في القدر وأخذ ما في القدر وسكبه في الأوعية الأخرى.
- الرحى: عبارة عن قطعتان من الصخر على شكل قرص دائري توجد في أعلى إحداها فتحة لوضع الحبوب، وتدار بواسطة مقبض خشبي مغروس بجسم الرحى والقطعتان مرتبطتان بعضهما ببعض بواسطة قطعة معدنية بطول نحو (١٠ سم) تمر خلال قطعة خشبية مثقوبة من الوسط حتى تسهل الحركة والدوران.
- السكين: عبارة عن قطعة حديدية إما من الحديد المطاوع أو الفولاذ، حادة ولها يد تقطع بها الخضروات والفواكه واللحوم ويذبح بها الحيوانات والطيور.
- المفراك: يصنع من الخشب له ذراع بطول نحو (٤٠ سم) تقريباً ويثبت في رأسه ثلاث أصابع خشبية مخترقة الذراع وبارزة من الناحيتين، يستخدم في تقليب وتحريك بعض الأطعمة داخل القدر.

---

(١) ناجي عبد الجبار. **مرجع سابق**، ص٦.

(٢) مروان أبو سويرح . **مرجع سابق**، ص١٢٣.

- الصاج: وعاء مقعر مصنوع من الحديد دائري الشكل بقطر نحو (٦٠ سم) تقريباً يوضع مقلوباً فوق النار ويوضع عليه الرقاق ويسمى خبز الصاج.

العمران والأغاني الشعبية الفلسطينية

تعد الأغاني الشعبية من أهم الفنون في الأدب الشعبي الفلسطيني لتداولها في مناسبات عديدة ولاحتوائها على مخزون ثقافي واسع لمختلف نواحي الحياة الفلسطينية وبخاصة الجانب الذي يتعلق بالعمارة حيث أن البيت والحوش والمدينة والقرية والسرايا والمسجد وباقي التشكيلات العمرانية تشكل البيئة المحيطة بالإنسان الفلسطيني، وقد طرقت الأغاني نواحي كثيرة وجوانب عديدة من أشكال العمارة وفنونها ووظائفها وجميع ما يتعلق بها، والحياة في نظر الفلسطيني لا تطيب إلا في بلده وفي داره " الواحد ما بتريح إلا في بيته " وكذلك فان الموت لا يطيب إلا في البلد " ابلادنا فيها الموت طاب " تستعمل الأغاني بشكل واسع في الثقافة الشعبية الفلسطينية فتستعمل في الأفراح ومناسبات العرس والطهور وعقد العقود وبناء البيوت أو عند السكن وكذلك عند الحج وكذلك في مناسبات الحزن ومن أجل ترقيص الأطفال أو الهدهدة وفي وقت العمل، وتتنوع أغاني النساء بتنوع المناسبات والأغراض التي تغني فيها وكذلك بتنوع أنماط الأغاني وأشكالها وقد ترد أفكار ومعان تتعلق بالعمران وبخاصة في مجالات تنظيم البيت واستعمالاته وفي توصيف البيت من الناحية التشكيلية أو الوظيفية وكذلك في وصف مواقع البيوت [١].

الملابس والتطريز

الأزياء الشعبية تاريخ قديم:

اختلاف المناخ وتنوعه والمنظر العام لأراضي هذه المنطقة لعب دوراً حساسا في نشأة المجتمع الذي تميز سكان المدن وسكان الأرياف والبدو الرحل الذي قطنوا الصحراء وبالرغم ضيق الوقت للقرويين بالأعمال الفنية والحرف المهنية فقد شاركوا بالتراث الشعبي كالشعر والنثر والأغاني الشعبية، والملابس المطرزة للمرأة القروية كانت بالنسبة لها ذو قيمة عالية مما تتميز به هذه الملابس من روعة فنية، فقد كانت كل منطقة تمتاز بنوع خاص من التطريز والتفصيل، وهذه الإصلاحات ازدادت مع الزمن [٢].

---

(١) عمر حمدان. **مرجع سابق**،ص١١٨.

(٢) عبد السميع أبو عمر. **التراث الشعبي الفلسطيني تطريز وحلي**. ط٢(القدس: الشرق العربية، ١٩٨٧) ص أ.

وقد ظهرت الأزياء التراثية الشعبية الفلسطينية التي تبرز فيها خاصية التطريز المزخرف بالإبرة والخيوط المختلفة الألوان منذ آلاف السنين فيما تؤكد الكتب التاريخية إلى وجود أثار لذلك من العديد من المناطق التراثية مثل مغارة "الزطية" الواقعة في المنطقة الشمالية الغربية لبحيرة طبريا شمال فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨، ومغارات الطابون والسهول والوادي والوعد وكباران في منطقة الكرمل وكهف داخل جبل القفزة جنوب مدينة الناصرة، وغيرها الكثير(١).

وإن الأزياء الفلسطينية قديمة، وأقدم النقوش تدل على الملابس الجلدية في فلسطين، هي النقوش التي وجدت في مغارة أم قطفة وكهوف بئر السبع، والنسيج هو العامل الذي يذفذ عليه التطريز والنسيج الأول بفلسطين من صوف الأغنام وقد عرف إنسان فلسطين استئناس الحيوانات في العصر الحجري المتوسط، في مرحلته الأولى، أي منذ فترة لا تقل عن ١٢٠٠٠ سنة قبل الميلاد، وأهم الحيوانات التي استأنسها هي: الكلاب والماعز والبقر والثيران (٢).

ولكن يقال أن أقدم الزخارف والنقوش التي تشير إلى وجود الملابس الجلدية هي التي تم العثور عليها في مغارة تسمى »أم قطفة« إضافة إلى كهوف منطقة بئر السبع الواقعة في النقب وهي المنطقة الجنوبية من فلسطين عام ١٩٤٨، وكغيرها من الحرف اليدوية تأثر تسويقها خلال الانتفاضة الفلسطينية عام ١٩٨٧ والممارسات التي كانت تفرض عليها إضافة إلى وقف التصدير للخارج وفي الوقت نفسه هبوط السياحة إلى أدنى درجاتها في تلك الفترة، أما بعد وصول السلطة عام ١٩٩٤، فقد بدأت الأمور في التحسن مع انفتاح الأسواق إلى حد ما وخاصة في الضفة الغربية حيث الأعداد الكبيرة من السياح(٣).

ويمكن أن يحدث في الفن الشعبي، أن تتأثر منطقة بأخرى، فتأخذ إحداها عن الأخرى أو أن يأخذ كل منهما عن الأخر، فمثلاً يمكن أن تظهر بعض الوحدات الزخرفية على ثياب منطقة أخرى غير منطقتها، كأن تظهر زخارف منطقة بيت لحم على ثياب منطقة بيت دجن ، وهذا الفن لا يقتصر على منطقة دون الأخرى أو على قرية أو بلدة، إنه فن نراه في كل قرية وبلدة حتى في بعض المدن وخاصة المدن الجبلية، انه فن شامل، إنه ظاهرة أكثر من الأشجار وجوداً، حتى إننا نستطيع أن نقول: أينما وجدت فتاة فلسطينية ريفية أو بدوية أو من المدينة وجدت الزخرفة الشعبية على الأزياء أنه فن ضروري في حياة كل فتاة فلسطينية كالهواء والماء (٤).

---

(1)http://www.albayan.co.ae/albayan/culture/2000/issue40/others/1.htm

(٢) عبد الرحمن المزين. **الأزياء الشعبية الفلسطينية**. موسوعة التراث الفلسطيني، د.ن، ص١٥.

(3)http://www.albayan.co.ae/albayan/culture/2000/issue40/others/1.htm

(٤) عبد الرحمن المزين. **مرجع سابق**، ص١١.

وتتنوع الملابس في فلسطين بتنوع المناطق واختلاف البيئات المحلية، وتعرض البلاد لكثير من المؤثرات الخارجية، وننظر إلى الزي الفلسطيني بأنه لا ينفصل عن محيطه وعن ثقافته المتوارثة فالزي تعبير عن ارتباط الإنسان بأرضه وثقافته.

فيما تؤكد موسوعات الفلكلور أن الرجال والنساء كانوا على السواء يرتدون الملابس المطرزة والمزركشة إلا انه بعد الفتح الإسلامي اقتصر ذلك على النساء والفتيات دون الرجال الذين اقتصرت الزركشة على بعض ملابسهم مثل: منديل الدبكة، الحطة، الحزام وربطة العنق (١).

ويلاحظ في بعض الأحيان أن زي المدينة هو زي ريفي أو متأثر بالريف، ومردّ ذلك نابع إلى أن بعض العائلات في المدينة ذات منشأ ريفي، يضاف إلى ذلك بطء التطور الحضاري الذي يؤدي إلى تكون المحمولات من حالة البداوة إلى الريف كبيرة، ثم من البداوة والريف تكون كبيرة في المدينة، لذا قد نجد الريف في المدينة(٢).

وفن الأزياء الشعبية الفلسطينية، هو جزء من التراث الفلسطيني، وأهم ما يميزه هو فن الزخرفة " التطريز " التي تزينه، والمتأمل للزخرفة الشعبية " التطريز" فإنه يجد أن هناك مدارس فنية تختلف باختلاف المناطق والقرى، وتميز كل منطقة عن الأخرى، بل يمكن القول أن الفرد العادي يمكنه أن يحكم على الزي عندما يراه، من حيث زخرفته ولونه، ومن خلال ذلك يمكنه معرفة البلدة التي ينتمي إليها (٣).

ويعتبر التطريز من ابرز الفنون الشعبية الرابطة لما بين الماضي والحاضر حيث نظام التطريز من حيث توزيع الألوان وأنماطها، وقد تزايدت خلال السنوات الماضية صور ارتداء الأزياء الشعبية الفلسطينية في المدن وذلك بدافع الحفاظ على التراث الذي تحاول إسرائيل طمسه وإبعاده عن الشعب الفلسطيني ليفقد أحد الدلائل القوية على وجوده على أرض فلسطين منذ آلاف السنين(٤).

والتطريز أحد المشغولات اليدوية التي تعد فناً من الفنون الشعبية الرائعة والتي اهتمت به المرأة العربية وخاصة الفلسطينية كون تراثا فلسطينيا هاما، تراث حاول الاحتلال الإسرائيلي على مر الأزمان السابقة النيل منه وطمس معالمه بشتى الطرق والوسائل، ليس بداية بمنع دخول المواد الخام التي تستخدم في المشغولات اليدوية، ولا نهاية بمنع تسويق المشغولات اليدوية لـ"التطريز الفلاحي" وبالرغم من ذلك بقي

---

(1)http://www.albayan.co.ae/albayan/culture/2000/issue40/others/1.htm

(2)http://www.palestine-info.net/arabic/hertiage/clothes/clothes.htm

(٣) عبد الرحمن المزين. **مرجع سابق**، ص١٠.

(4) http://www.albayan.co.ae/albayan/culture/2000/issue40/others/1.htm

التراث الفلسطيني صامداً أبياً على الانكسار والاندثار حيث ورثته الأم لابنتها فبات الحفاظ عليه شغلها الشاغل بخيوطها الحريرية وإبرها الخاصة تشغل قطعاً غاية في الجمال والروعة تزين بها جذبات منزلها المتواضع لتضفى عليه شيئاً من السحر والجمال الأخاذ، لقد بات التطريز هواية تعتمد على بعض من الخيوط الحريرية ذات الألوان الزاهية وأقمشة من التفت الأبيض وأحياناً كثيرة من الأسود لصنع الأثواب المطرزة بالزخارف والأشكال الهندسية والعروق والرسومات المختلفة وغالباً ما يكون اللونان الأساسيان في التطريز الأحمر والأخضر فتضيئان إشراقاً وجمالاً على الثوب الذي عادةً ما يكون اللباس الرسمي في الأفراح والمناسبات السعيدة[١].

فالتطريز وأشكاله المختلفة سمة من سمات الشعب الفلسطيني وجزء من تراثه الوطني وشعاره الاجتماعي بل أنه من المظاهر الخاصة التي تميز الشعب الفلسطيني عن غيره من الشعوب خاصة وانه يقوم بتطريز ملابسه بنفسه وبأساليب تقليدية تستخدم فيها الإبرة والخيط والتي تحتاج إلى صبر وقدرة على التحمل، بل إن هذه الحرفة تم توارثها من الأجداد إلى الأبناء والأحفاد وذلك من خلال الحفاظ على طريقة وأسلوب التطريز، وخاصة أن ورش العمل في معظمها تتم داخل المنازل وتحديدا في معسكرات اللاجئين المنتشرة في كافة الأراضي الفلسطينية[٢]، وفي منطقة الجنوب فلم يحدث تغير كبير على الأزياء المطرزة إلا بعد الاحتلال الإنجليزي الذي رافقه غزو ثقافي ترك بصماته واضحة على المفاهيم الحضارية للشعب الفلسطيني، وزيادة الوعي الحضاري لدى الشعب الفلسطيني وشعوره القوي بالخطر الذي يتهدد ثقافته المادية بصورة رئيسية، فقد عاد الاهتمام بالمورثات الوطنية وعلى رأسها الملابس المطرزة، وأصبح التطريز أحد الرموز الوطنية الهامة، بالإضافة إلى أنه أصبح من المنتجات المهمة التي تدر أرباحاً لا بأس بها على العديد من الجمعيات الخيرية والنساء المحترفات لهذه الصنعة [٣].

والزي الفلسطيني يجمع ما بين الزي الوطني والشعبي والزي الغربي والجدير بالذكر أن الزي الشعبي هو الزي الفلسطيني، وزي الرجل الأصلي القروي يتكون من العباءة ذات اللون الأسود أو البني والحطة والعقال التي توضع على الرأس وزي رجال المدن يرتدون البدلات مع الحطة والعقال أما البدو فيلبسون القمباز العريض ذات اللون الأسود، وأغلبية النساء يلبسن الأثواب المطرزة الطويلة والمعاطف

---

(1)http://www.lahaonline.com/index.php?option=content&sectionid=1&id=8959&task=view

(2)http://www.albayan.co.ae/albayan/culture/2000/issue40/others/1.htm

(٣) نبيل عناني. **دليل فن التطريز الفلسطيني** (رام الله: مركز التراث الشعبي الفلسطيني، جمعية إنعاش الأسرة، د.ن) ص١٨.

القصيرة المطرزة أيضا وشالات ملونة بأجمل الألوان الخلابة، وبعض النساء يلبسن الجلابيب مع الشارب الطويل في حين تلبس بعضهن الزي الغربي [١].

ولتنوع التطريز في الأزياء الفلسطينية ما يبررها حيث كانت العادات الاجتماعية تفرض على الفتيات ضرورة القيام بتجهيز ملابس زواجها التي تطغى عليها ألوان ورسومات البهجة والفرح فيما كان الرجال يتفاخرون ببعضها مثل غطاء الرأس ولكن بعد دخول الإسلام التزم جميع الرجال بقواعد عدم تشبه الرجال بالنساء ومن هنا بدأ الرجال في صيحة أخرى تتمثل في تزيين غير ملون لملابسهم حيث طغت عليها الخطوط الطولية للسراويل [٢].

ولا شك في أن إحياء التراث الشعبي والحفاظ على خصائصه الفنية وإبراز أصالته يعتبر تخليداً لحضارة عريقة فالفن يظهر مدى ثقافة الشعوب من حيث الزمان والمكان، وهذا الفن عريق وقديم بقدم فلسطين على خارطة العالم حيث مارسه أهلها واستخدموا مهنة التطريز نتيجة إبداع في نفس المبدع ونجد في التطريز ألوان عفوية تدل على ما في البيئة من أحياء كما أن هذه المهنة تقتصر على النساء فقط دون الرجال.

والتطريز يعتبر من الهوايات المفضلة عند المرأة الفلسطينية وهناك الكثير من النساء احترفن هذه الهواية حتى أصبحت تدرس في كثير من المعاهد التي تشرف عليها وكالة الغوث للاجئين الفلسطينيين والإتحاد العام للمرأة الفلسطينية، حيث شكل التطريز منذ بداياته الأولى لوناً من ألوان التراث الشعبي الفلسطيني، فكانت النساء الفلسطينيات يحرصن على اقتناء هذا الثوب ضمن خصوصياتهن ولا سيما جهاز العروس الذي لا يكتمل بدونه، فكانت كل أم تحرص على أن تصنع الثوب المطرز باللون الأحمر المزدان بالورود الحمراء والعروق الخضراء لابنتها، فقد حرصت المرأة الفلسطينية على تطريز حاجياتها الضرورية في المنزل لتضفي عليه لمسة جمال مستوحاة من الواقع الذي تعيشه فكانت أغلب المشغولات التي تصممها منقوشة وكأنها حديقة غناء مزدانة بالورود والأزهار زاهية الألوان مختلفة الأشكال والأحجام ناهيك عن طائر الحمام الذي يتطاير على أجزاء معينة من مشغولاتها التي تتراوح بين الأثواب التي تخصها لابنتها العروس في جهازها والمطرزات الأخرى من وسائد ومفارش وشالات زاهية الألوان رائعة التصميم[٣].

ويتكون التطريز من وحدات زخرفيه تتكون من حركة أو مجموعة حركات لكل حركة معنى خاص تختلف هذه الحركات وتعددت وتنوعت والتي تتمثل وفي وحدات طبيعية وهندسية كل نوع يشتمل منها على أعداد كثيرة ومن تداخلها وتآلفها

---

(١) عبد السميع أبو عمر. **مرجع سابق**، ص أ.

(2) http://www.albayan.co.ae/albayan/culture/2000/issue40/others/1.htm

(3) http://www.lahaonline.com/index.php?option=content&sectionid=1&id=8959&task=view

أمكن تكوين وحدات زخرفيه جديدة لذلك نجد في الثوب الواحد مجالاً للإبداع والتفنن و هذه الو حدات مستوحاة من البيئة التي يعيش فيها أبناء الشعب الفلسطيني ومنها الوحدات الزخرفية المتنوعة.

الوحدات الزخرفية: [١]

١) وحدات زخرفية طبيعية، وتشمل: نبات أشجار، طيور، أزهار، حيوانات، برتقال، عنب، زيتون، قرنفل، سنابل قمح، النخلة.
٢) أدوات، وتشمل: مشط، مفتاح، منجل، سلسلة، قنديل، قوار.
٣) دلالات، وتشمل: علم فلسطين، الحطة.
٤) هندسية، وتشمل: مثلث، دائرة، مستطيل، قوس، قاع فنجان، ساعة، خيمة، نجوم.

ولكل لون في الثوب دلالة خاصة مثل النخلة السنابل التي تزيد من قيمة الثوب كما تختلف شكل التطريز من ثوب إلى آخر حسب المناسبة التي سيلبس لها الثوب فثوب الخطبة تطرز عليه أشكال النقود، أو الأثواب العادية فقد تكون عليه أشكال من الأواني الفخارية والأشجار.

كما أن لكل سن ثوب يناسبه فيختلف ثوب الفتاة عن ثوب المتزوجة و عن المرأة الكبيرة في السن حيث نجد ثوبها لا يتخذ في الغالب أشكالاً صاخبة بل أشكال هادئة راكزة مع سنها أما ثوب الفتاة فيكون له طابع خاص حيث الأشكال المختلفة الألوان الزاهية التي تتناسب مع عمرها كما يختلف ثوب الفلاحة عن ثوب البدوية في الغرزة والألوان والأشكال حيث ثوب البدوية له مكملات لا نجدها في ثوب القروية مثل: البرقع، الحزام، الشناف [٢].

---

(١) محمد سليمان. **مرجع سابق**، ص ٢١١-٢٢٠.
(٢) مروان أبو سويرح. **مرجع سابق**، ص١٠٢-١٠٧.

أهمية الأزياء الشعبية

لكل شعب زيه الخاص بالذي يميزه عن غيره من الشعوب ويعتز المرء بزيه الشعبي ويتباهى ويتفاخر به وهذا الزي تراث شعبي تتناقله الأجيال عن بعضها البعض حيث يستطيع الفرد معرفة هوية الفرد الآخر من خلال زيه الشعبي الذي يرتديه.

ونظراً لأهمية الأزياء الشعبية يبرز هذا الاهتمام من خلال المعارض التي تقام في شتى بلاد العالم لتعرض كل دولة فنونها الشعبية الخاصة بها مع التركيز على جانب الأزياء الشعبية لأنها تعتبر بمثابة عنوان وهوية الفرد [1].

الوظيفة الاجتماعية للتطريز:

اهتمت المرأة الفلسطينية اهتماماً كبيراً بفن التطريز، ووظفته من أجل إطفاء جو من الجمال على بيتها وحياتها، فقد استعملته لتزيين عدد كبير من النماذج الضرورية في البيت واستعملته كذلك كعنصر رئيسي في تزين ملابسها، ويلعب التطريز دوراً هاماً في عملية توظيف الملابس في المناسبات والمواقف المختلفة من خلال ثلاثة أبعاد رئيسية هي [2]:

- **كثافة التطريز**:- حيث تدل الثياب المطرزة بكثافة على الغنى والجاه والمركز الاجتماعي بعكس الثياب قليلة التطريز، كما ترمز إلى الشباب والجمال، ولذا فهي تستهجن على كبيرات السن، وتلبس الثياب المطرزة في المناسبات السعيدة والزيارات، وتحرم في المناسبات الحزينة والمآتم وأثناء فترة الحداد، ولا يستحسن لبسها للمرأة التي يكون زوجها غائب.
- **الألوان**:- تربط الألوان الصارخة و خاصة الأحمر في ذهن الناس بالحيوية والإثارة ولهذا فإنها تقتصر على الشابات، وعند البدو تطرز الفتيات غير المتزوجات والعجائز ثيابهن بألوان قاتمة كالكحلي أو البني على الأسود، بينما تقتصر الثياب المطرزة بالأحمر على الشابات المتزوجات.
- **النماذج الزخرفية**:- تقوم النماذج الزخرفية في الوقت الراهن بدور "الموضة"، إذ يستدل منها عما إذا كان الثوب قديماً أو حديثاً تماماً كما تفعل التفصيلات والألوان الحديثة لدى المرأة في المدينة ويزيد من أهمية الزخارف أن الثياب لا يتغير تفصيلها لدى المرأة القروية كما أن تنظيم التطريز على الأجزاء المختلفة للثوب لا يتغير، ولذا فإن النساء يتابعن التجديدات في النماذج الزخرفية بلهفة لإشباع رغبة التغيير والتجديد لديهن.

---

(١) محمد سليمان. **مرجع سابق**، ص ٢١١-٢٢٠.

(٢) نبيل عناني. **مرجع سابق**، ص١٨.

بعد أن أغتصب الصهاينة الأرض الفلسطينية عمدوا إلى طمس وسرقة التاريخ والتراث الفلسطيني وأقاموا في عواصم أوروبا معارض لأزيائنا الشعبية المطرزة وفنوننا التطبيقية المتمثلة في فن الزجاج _ الفخار _الصدفيات والتطعيم بالعاج والعظم _ المنحوتات الخشبية _ النحاسيات _ الحصير الخوص كما أقاموا المهرجانات والحفلات لرقصتنا الشعبية والأغنية والموسيقى الشعبية، ونسبوا كل ذلك بالزيف والتضليل لأنفسهم [١].

أنواع وأدوات التطريز

يوجد نوعان للتطريز التطريز العادي، تكون عبارة عن غرزة على شكل علامة الضرب " x" أما الحبة فتكون عبارة عن غرزتين متتاليتين،أما النوع الثاني من التطريز والذي هو أقل انتشاراً فيطلق عليه التطريز المثمن ويكون عبارة عن أربع غرزات متقاطعة هي نفسها الحبة العادية التي يعتمد عليها النوع الأول لكن الفرق نزيد عليها غرزتين على شكل علامة الجمع "+"[٢].

أشكال التطريز

وتضم الملابس المطرزة كافة الأشكال والألوان فمنها الجاكتات، الشالات، وأغطية الوسادات الفساتين، والكوفيات، الملاءات المختلفة الاحجام، وللتطريز مدارس وتوجهات تختلف من مكان إلى أخر من حيث التصميم واللون والخيوط المستخدمة أو المساحات المطرزة وكيفيتها، لدرجة أن الشخص تعرف منطقة أو قريته أو مدينته من ثوبه[٣].

وتتفنن المرأة وتبدع في تصميم أشكال المطرزات سواء على الأثواب أو الوسادات أو المفارش التي تنسجها بخيوطها الحريرية وأقمشتها المتفاوتة الألوان بين الأبيض والأسود والسكري، ومن هذه الأشكال ما نجده منسوجاً بدقة على الأثواب من حدائق وورود وأزهار زاهية الألوان غالبيتها من اللون الأحمر القاني يزينها عروق من الأخضر قد تكون على كل ريشة الطاووس تجدها تمتد من أسفل الثوب إلى أن تصل إلى أعلى الخاصرة بالإضافة إلى طيور الحمام المتناثرة في تناغم وانسجام وتوازن بين أجزاء الثوب خاصة في الذيل أما الأكمام فيكون غزلها من الورود الحمراء فقط مما يضفي عليها جمالاً وبريقاً ً، وتختلف أنواع العروق التي تزدان بها الأثواب فمنها عرق الحمامة وآخر يسمى عرق الموج يكون شكله تماماً

---

(١) عبد الرحمن المزين. **مرجع سابق**، ص٣.

(2) http://www.lahaonline.com/index.php?option=content&sectionid=1&id=8959&task=view

(3)http://www.albayan.co.ae/albayan/culture/2000/issue40/others/1.htm

كموج البحر وثالث يطلق عليه عرق السرو حيث يأخذ شكل شجرة السرو ناهيك عن عرق السفينة والقلب والنجمة والورد وغيرها كثيراً، حيث أن المرأة تستوحي تصاميمها من واقع حياتها ومظاهرها فتنسج الحدائق والبحر والسفينة الطبيعة الحية والجافة كما أنها تحاول أن تجد التصاميم التي تعبر عن حالتها وواقعها السياسي فتجدها تطرز بخيوطها خريطة لفلسطين وتبرز عليها مكان بلدتها الأصلية يافا حيفا المجدل يبنا الرملة اللد وهكذا أملاً منها في الرجوع إليها[١].

المأكولات الشعبية

تعتبر مصادر الغذاء متشابهة في مختلف أنحاء العالم، لكن ما يختلف هو طريقة صنع الطعام أو تحضيره، فأهل فلسطين قبل حرب العام ١٩٤٨ لم يكونوا يشترون المعلبات على الإطلاق، فمعظم حاجاتهم متوافرة، الخضروات والفواكه والحبوب يأخذونها من أراضيهم وبساتينهم، والحليب من ماشيتهم ويصنعون مشتقاته داخل بيوتهم، وكذلك المربّى (التطلي) ومن أنواعه مربى الخشخاش الملفوف (الزفر ويشبه البرتقال) لذلك نستطيع أن نقول أن الأسرة الفلسطينية كانت شبه مكتفية ذاتياً بالنسبة للغذاء، لأن جميع المستلزمات الأساسية كانت موجودة على مدار السنة لديهم، فالأسرة الفلسطينية نواة إيجابية لمجتمع يسعى لأن يأكل مما يزرع، لا لمجتمع يتّكل على غيره ليأكل مما لا يزرع [٢].

وكما أن لكل شخص طعاماً مميزاً أو نوعاً يفضله على غيره، طعاماً مميزاً أو نوعاً يفضله على غيره فإن لكل شعب أطعمة شعبية يفضّلها وتنسب إلية مثل: (المسخن، المنسف البامية الفاصوليا الخضراء، البازيلا، المقلوبة، ورق العنب، ورق الملفوف، كفتة بالطحينية التبولة، الفتّوش كوسا محشي، سمك بطحينة، سلطة طحينة، العجة، بيض بالبندورة شوربة العدس، المجدرة مدردرة، العدس بالأرز، الدجاج المحشي، رز مفلفل شيش كباب [٣].

أبرز الحلويات الشعبية الفلسطينية [٤]:

الحلويات الشعبية، الهريسة، المهلبية، الرز بحليب (البحتة (العوامة أو لقمة القاضي المعمول بالجوز والتمر، البقلاوة، القطايف بالجبنة، الكنافة.

(1) http://www.lahaonline.com/index.php?option=content&sectionid=1&id=8959&task=view

(2) http://www.palestine-info.net/arabic/hertiage/food/food.htm

) 3) http://www.dr-arzz.net/archive/index.php/t-2329.html

(4) http://www.palestine-info.net/arabic/hertiage/food/food.htm

بعض الأكلات

المنسف العربي: يعتبر طعام المنسف من أرقى وأهم المأكولات عند البدو، لما له من قيمة ومعنى كبير لعدة اعتبارات اجتماعية، منها الواجب فتقدم المناسف في المناسبات السعيدة والأفراح ويقدم المنسف للضيوف العظام حتى على مستوى الشيوخ والأمراء والملوك ويتكون المنسف من عناصر رئيسة هي " اللحم، اللبن، خبز الصاج، والأرز " ثم يضعون السمن البلدي بكمية معروفة ومقدرة ويضعون رأس الذبيحة على المنسف، ويغطون المنسف برغيف من الخبز الصاج، ثم يضعونه أمام أكبرهم سناً، ويقول المعزب: " تفضلوا على ما قسم الله ويا هلا ويا مرحباً بكم وياريته منازل الهناء "، وتقال بعض الكلمات للترحيب بالضيوف يشكل الضيوف حلقة حول المنسف يمد الكبير يده ويزيح رغيف الخبز من على المنسف ويبدأ بالبسملة، ويبدأ الضيوف بالأكل وعليهم الأكل باليد اليمنى، وكلاً من جهته وإذا شبع أحدهم قبل الآخرين عليه أن يبقى جالساً وواضع يده في الأكل حتى ينتهي آخر واحد من طعامه، ويقولون: " يخلف الله على المعزب وبالأفراح المسرات " ويجب على المضيف أن لا يتناول الطعام مع الضيوف بل يبقى حريصاً على خدمة الضيوف ويقدم لهم الماء والشراب ويحثهم على المزيد من الأكل.

- **الفريكة**: حرق القمح قبل جفافه، ويحرق على نار خفيفة ثم يفرك لاستخراج الحبوب ومن ثم يجرش على الرحى حتى تنكسر الحبيبات ولا تطحن، ثم يوضع القليل من الفريك بالماء المغلي في القدر مع اللحم بالكميات المطلوبة، أو يستخدم الفريك في حشو الطيور قبل طبخها " خاصة الحمام ".
- **البرغل**: جرش القمح بعد إنضاجه وتجفيفه بطريقة معينة، وفيما بعد يطبخ بالكمية المطلوبة وحسب نوع الأكلة.
- **الجريش**: جرش القمح العادي ويطبخ إما مع ماء أو مع اللحم أو المرق.
- **السميد**: دقيق الذرة الخشن، ويستخدم لصناعة بعض الأكلات وخاصة الحلويات "الهريسة".
- **الفتة**: وهي تقطيع الخبز ووضعه في الباطية وإضافة المرق عليه، ووضع اللحم بالقدر المناسب.
- **العدس**: نوع من البقوليات، ويطبخ مجروش وحسب الطلب.

- **الأرز**: عرف حديثاً وله أنواع وأسماء كثيرة " الأرز، أو التمن، أو العيش ".
- **الخبيزة**: غذاءاً شعبياً ذا قيمة غذائية، و هي نبتة بر ية ذات ور قه مستديرة خضراء، تستخدم في بعض الوصفات الشعبية الطبية.
- اللوف: نبات بري أوراقه أكبر من أوراق الصنيعة و هو غذاء شعبي لذيذ يؤكل بعد طبخه بالماء إضافة البيض له " يجب تجفيفه تحت أشعة الشمس قبل طبخه لما فيه من مواد قد تضر باللسان" وطبخه وأكله مفيد لقتل و طرد ديدان الإسكارس.
- **الصنيعة**: نبات بري يشبه اللوف في طعمه المر، يأكلها الفقراء وتنمو بكميات كبيرة شتاءاً وفي جميع المناطق الزراعية.
- **الحمصيص**: نبات بري عريض ناعم وطعمه حامض، يؤكل ويستسيغه الناس، يطبخ بإضافة الماء وقد يضاف إليه العدس المجروش، وكذلك الكثير من النباتات البرية التي تؤكل [1].

العلاج الشعبي

الحكمة من وراء العلاج الشعبي هو الإيمان والتسليم والثقة العميقة بين المريض والحكيم لذلك يتقبل المريض من حكيم الدواء بنفسية هادئة دون تردد، لذلك يكون للدواء تأثير كبير وعلماء الفلسفة يقولون إن نصف المرض يكون سببه عامل نفسي.

وفي الريف الفلسطيني كان الناس و ما يزالون يؤمنون بالعلاج الشعبي طالما أن العناية الصحية الحقيقية غير متوفرة لهم نظراً للظروف الاستعمارية أو الاقتصادية القاسية التي يعانون منها، ولبعد الكثير من القرى الفلسطينية عن المدينة، ولعدم توفر المواصلات بصورة جيدة وسريعة، وإذا كانت المرأة هي المريضة فهذا عند الكثير خاصة القبائل البدوية عيب كبير أن تذهب للطبيب إلا أن البعض تحرر من هذا التعصب في الآونة الأخيرة.

ومنذ أن وجد الإنسان على سطح الكرة الأرضية وهو يبحث ويجتهد فيما حوله عن أشياء تنفعه في حياته وكلما كانت الحاجة ماسة لهذا اجتهد أكثر فعندما يصاب الإنسان بمرض كان يلجأ إلى الطبيعة للانتفاع بأعشابها عن طريق التجربة أو الصدفة، وكان ابن سينا والرازي حريصان ومجتهدان في هذا المجال حباً في اكتشاف الكثير من الأعشاب التي يمكن بها إشفاء الكثير من الأمراض حتى دخلت تجاربهم إلى أوروبا عن طريق بلاد الأندلس.

---

(١)مروان أبو سويرح. **مرجع سابق**، ص١٢٣-١٢٥

وللأعشاب الطبية دور بارز في الطب الشعبي الفلسطيني وتستحوذ على اهتمام الكثير من الناس خاصة عند سكان الصحراء وسكان القرى وإذا سألت البدوي في الصحراء على ما تحتويه مخلاته تجد أحد الأشياء فيها هو الدواء مثل الشيح والجعده وغيرها وكذلك القرى التي لا يكاد يخلو بيت منها [١].

التراث اللفظي

١ - الأمثال الشعبية

موقع فلسطين:

نظراً لوقوع فلسطين في موضع القلب من الوطن العربي ووقوعها على خطوط الوصل بين الشعوب العربية في الشمال والجنوب، ولما كانت تشكل منطقة صدام وارتطام على مر العصور وقد تعرضت لسلسلة هجرات متعاقبة، وكانت على الدوام محط أنظار الغزاة والطامعين، وملتقى أجناس وأقوام كثيرة، فلقد تميزت بثروة ضخمة من الأمثال الشعبية الفلسطينية التي أفرزتها عوامل التأثر والتأثير والاحتكاك، فإذا ما أضفنا إلى ذلك أن نسبة كبيرة من الأمثال الشعبية العربية تم اقتباسها من الأمثال العربية الفصيحة، فلقد ساعد كل ذلك على تشابه الأمثال الشعبية بين شعوب المنطقة والشعب الفلسطيني، ورغم هذا التشابه بين نسبة كبيرة جداً من أمثالنا الشعبية بما يقابلها من الأمثال العربية، إلا أن في أمثالنا نسبة كبيرة تحمل خصائص ومميزات تجعلها تنفرد عن غيرها وتتميز عنها، والأمثلة على ذلك كثيرة فإننا نجد ذلك واضحاً كما في الأمثال التي وردت بها أسماء المدن الفلسطينية مثل: "لو كانت عكا خايفة من البحر.. ما وقفتش ع الشط" ، "ببيع السلق على أهل سلوان" [٢].

المثل هو الكلام المقتضب الذي يحمل مدلولاً نفسياً، ويتسم بالقبول والتداول وينتقل عما ورد فيه إلى ما يصح قصده وهو مرتبط بالأسرة الممتدة، وهو قريب من

---

(١) محمد سليمان. **مرجع سابق**، ص١١٩-١٢١

(٢) مازن الشوا. **موسوعة الأمثال الشعبية الفلسطينية**. الكتاب الأول. ط١ (القاهرة: د.ن، ١٩٩٦) ص١١.

الشعر والعرب يتداولون الأمثال بسبب لغتها فهي ذات إيقاع وتتقبل الكلام الموزون الذي يذكر بالاستقرار والثبات [١].

تعريف المثل ومفهومه:

إذا كان مصطلح " فولكلور **folklore** " كما جاء ذكره لأول مرة سنة ١٨٤٦ على لسان (وليم تومز) يعني بترجمته الحرفية " حكمة الشعب " والذي كان يقصد به دراسة الآثار الشعبية بشموليتها[٢] فان خير دليل يبلور ويوضح هذا المعنى "المثل الشعبي" فهو بالفعل وليد تجربة عقلانية واعية رصدت بتدبر ووعي، ودقة ملاحظة، وقوة استنتاج "حكمة" أو قولاً هو ما يسمى "المثل الشعبي" فاستساغه الشعب، أخذ صفة الاستمرارية في التداول والقبول من شخص لآخر [٣].

وتعرفه دائرة المعارف الأمريكية "هو جملة قصيرة مصيبة المعنى تستحضر بدقة الحقيقة الشائعة وتتولد أساساً من المجتمعات الأولى بأسلوب عامي غير أدبي وتكون شكلاً فلكلورياً شائعاً في كل الأجيال " [٤].

والمثل كما تعرفه دائرة المعارف البريطانية هو (جملة قصيرة موجزة، مصيبة المعنى شائعة الاستعمال[٥] نستشف منها روح الشعب الذي صدرت عنه، ومدى ما وصل إليه من حكمة عبر العصور، ومن حصيلة التجارب ومختلف وجوه التعامل مع الحياة [٦] ويقول جورجي زيدان: أنها عظات بالغة من ثمار الاختبار الطويل والعقل الراجح، دون أي اكتراث للطبقة التي أفرزت هذه العظات وذلك دون أي وعي اجتماعي للأمثال [٧] أما " ألكساندرا كراب " فيرى أن المثل يعبر شكله الأساسي عن حقيقة مألوفة صيغت في أسلوب مختصر حتى يتداوله جمهور واسع من الناس [٨].

---

(١) موسى علوش. **من الأمثال والأقوال والتعابير الشعبية الفلسطينية**(رام الله: د.ن، ١٩٩٥) ص١٧.

(٢) فوزي العنتيل. **بين الفلكلور والثقافة الشعبية** (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٨) ص٢٩-١٦٣.

(٣) ناجي المصرف. **موسوعة الخط العربي**. ج الأول والثاني (بغداد: منشورات وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٨٤) ص٦٠.

(٤) إبراهيم شعلان. **الشعب المصري في أمثاله**. (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٢) ص١٨.

(٥) وليد ربيع. **دراسة المجتمع الفلسطيني من خلال أمثاله الشعبية**. م١. ع ١، (البيرة: مجلة التراث والمجتمع) ص٣٠.

(٦) أحمد الطويلي. **في النقد والأدب الشعبي** (تونس: دار أبو سلامة للطباعة والنشر. د.ت) ص١١٧.

(٧) خليل حسونة.**المثل الشعبي العربي الفلسطيني** (غزة: دار ابن خلدون ،٢٠٠٢) ص١٠.

(٨) الكسندر كراب.**مرجع سابق،** ص٢٣٥.

والمثل جزء من التراث وإن تميز بسمات معينة كسرعة الانتشار يتشبث بالمياه و يرفض الموت المطلق إلى حد أن تموت الطبقة التي أنتجته الإقطاع على سبيل المثال ويبقى المثل متغلغلا في الوجدان الجمعي يصارع البقاء كما انه ضمن هذا يختزل القصة الشعبية والنادرة الطرفة في لغة جماهيرية مكثفة لا تتطلب ذاكرة متفرغة للحفظ المنهجي للأسماء والتواريخ والواقع كما هي الحال في الحكاية الشعبية أو الأسطورة أو الأغنية [١].

المثل الشعبي في معظم الحالات تعبير عن نتاج تجربة شعبية طويلة تخلص إلى عبرة وحكمة وتؤسس على هذه الخبرة للحضّ على سلوك معين، أو للتنبيه من سلوك معيّن، والأمثال أشبه بالرواية الشعبية التي تقصّ قصة موجزة فتسهم في تكوين وجدان الطفل حين يلقِّنه أركان الحكمة الشعبية ومعارج السلوك المستحبّة، ومجموعة الأمثال الشعبيّة، على تنافر بعضها البعض في كثير من الحالات، تكوّن ملامح فكر شعبي ذي سمات ومعايير خاصّة فهي إذن جزء مهم من ملامح الشعب وقسماته وأسلوب عيشه ومعتقده ومعاييره الأخلاقية[٢].

والمثل هو خلاصة لتجربة إنسانية ذات جذور اجتماعية سحيقة ومنحدرة صيغت بعبارة قصيرة سهلة التناقل، و يبدو أن الذوق الشعبي لعب دوراً هاماً و فعالاً في صياغتها وتشكيلها ووضع البنية الأخيرة لها والتي يتداولها الناس [٣].

والمثل جملة مفيدة موجزة متوارثة شفاهةً من جيلٍ إلى جيل، و هو جملة محكَمة البناء بليغة العبارة شائعة الاستعمال عند مختلف الطبقات، وإذ يلخّص المثل قصة عناءٍ سابق وخبرة غابرة اختبرتها الجماعة فقد حظي عند الناس بثقة تامة، فصدّقوه لأنه يهتدي في حلِّ مشكلة قائمة بخبرة مكتسبةٍ من مشكلة قديمة انتهت إلى عبرةٍ لا تُنسى، وقد قيلت هذه العبرة في جملة موجزةٍ قد تغني عن رواية ما جرى [٤].

والمثل أو القول هو ميراث الشعب وأحد ثقافات لغته، فإذا أردت أن تعرف شعباً معرفة حقيقية اقرأ أمثاله، ولكل شعب أمثاله التي تمثل كل طبقات الشعب، والأمثال هي المصدر الثابت للمؤرخ الاجتماعي والأخلاقي، لأن المثل يمثل الإنسان عبر تاريخ كل شعب بالإضافة إلي أن الأمثال والأقوال تعد من الشواهد اللغوية التي يستشهد بها في مجال دراسة اللغة [٥].

---

(١) خليل حسونة. **مرجع سابق،** ص٩.

(2)http://www.palestine-info.net/arabic/hertiage/amthal/amthal.htm

(٣) علي أبو فخيدة. **الحكاية في المثل الشعبي الفلسطيني**. ط١ (عكا: مؤسسة الثقافة الفلسطينية ، ١٩٩٠) ص٥.

(4)http://www.palestine-info.net/arabic/hertiage/amthal/amthal.htm

(٥) سيد عليان. **مرجع سابق،** ص٤.

إن المثل الشعبي هو فلسفة العامة ولا خلاف على أن التراث الشعبي والفلكلور هو أصدق المصادر والمراجع لدراسة حياة الشعوب من الناحية التاريخية، كما أنه هو المنطلق الوحيد الذي يعتبر أصدق ضروب التراث وألوانه في التعبير عن حياة الأمم، لأنه الأكثر تحللاً من القيود وسيطرة الحكم، إذ لا يستطيع هؤلاء _ الحكام _ منعه من الانتشار بين أفراد الشعب مثله في هذا مثل النكتة سريعة الانتشار مع اختلافهما في الشكل والمضمون والهدف (١).

ويدعو المثلُ الناسَ إلى التزام أحكامه إذ يُقال: «زي المثل واعمل»، وطمأن المثلُ الناس إلى أن الخبرة الشعبية لم تغفل أمراً: «ما خلّى المثل وما قال».

والمثل في قول الفارابي: هو ما ترضاه العامة والخاصة في لفظه ومعناه حتى ابتذلوه فيما بينهم وقنعوا به في السرّاء والضراء، ووصلوا به إلى المطالب القصيّة، وهو أبلغ الحكمة لأن الناس لا يجتمعون على ناقص، ولذا فالمثل قيمة خلقية مصطلح على قبولها في شعبها وهو يمرّ قبل اعتماده وشيوعه في غربال معايير هذا الشعب، وينمّ صراحةً أو ضمناً عن هذه المعايير على كل صعيدٍ وفي كل حال يتعاقب عليها الإنسان في حياته (٢).

ويجتمع في المثل أربع صفات لا تجتمع في غيره وهي إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة التعبير ، وهذا هو منتهى البلاغة مثل (٣):

- الوحدة عبادة _ الصباح رباح _ الناس معادن _ العطا قيمة _الضرة مرة - سلم تسلم.

ويعد المثل أو القول المأثور أو التعبير اللغوي واحداً من أشكال التعبير في الآداب على اختلافها ويأتي استخدامه في اللغة من قبيل التفلسف الاجتماعي لتشبيه حوادث ومواقف الحاضر بما يشابهها من الماضي بغرض النصح أو التعليم أو الوعظ أو صياغة فكرة في شكل أدبي بكلمات بليغة، لذا يعتبر المثل أو ما شابهه مرآة حقيقية تعكس صوراً من الماضي للحاضر، فالأمثال هي خلاصة تجارب الأمم وهي المرآة الصادقة التي تعكس الواقع التاريخي والفكر الاجتماعي لكل أمة، وتعد أيضاً ميراثاً لأبناء هذه اللغة أو تلك يجب المحافظة عليه ومن أكثر الشعوب استخداماً لهذه الأنواع الأدبية هي الشعوب السامية (٤).

إن الأمثال الشعبية والعامية ما هي إلا نتاج مراحل تاريخية متواصلة، وخلاصة خبرات وتجارب طويلة على مدى العصور، وما هي إلا انعكاس لحياة

---

(١) محمد ماضي. **أقوال وأحكام في الأمثال**. ج الأول. ص٦.

(2) http://www.palestine-info.net/arabic/hertiage/amthal/amthal.htm

(٣) محمد ماضي. **مرجع سابق**، ص٧-٨.

(٤) سيد عليان. **مرجع سابق**، ص٣.

الشعوب وواقعها وظروفها من تاريخية واقتصادية واجتماعية وسياسية، و هي تعبير صادق وترجمة حقيقية لقيم هذه الشعوب وتشكل مثلا حيا لأخلاقها وتطلعاتها [١].

ويقول علماء في المثل أنه ليس مجرد شكل من أشكال الفنون الشعبية، وإنما هو عمل كلامي يستحث قوة ما على التحرك، فالمعنى والغاية يجتمعان في كل أمثال العالم و هي وإن اختلفت في تركيب جملها أو في صلاحها أو مدلول حكمتها أو سخريتها، كتاب ضخم يتصفح فيه القارئ أخلاق الأمة وعبقريتها وفطنتها وروحها [٢].

و هذه الأمثال هي عبارة عن سجل حافل لأخلاق الأمم، وأكبر معبر عن سلوكها، وعاداتها وتقاليدها، من حيث أفراحها وأحزانها وآلامها وأحلامها، فالأمثال مليئة بكنوز من القيم والحكم والأحكام والتشبيهات، إنها تتحدث عن الخير والشر، عن السعادة والشقاء، عن الغنى والفقر عن الكرم والبخل، وتحث على الفضيلة ومكارم الأخلاق، وتستهجن الرذيلة وتنهي عنها، كما تدعو لتحقيق أسمى وأنبل معاني الأخوة والمحبة، خاصة الترابط الأسري والتعاون بين أبناء المجتمع العربي الفلسطيني [٣].

فالمثل هو مفتاح العقلية ؛ وبناء على هذه القاعدة البسيطة فانه يمكننا اعتبار أن المثل من أيسر المفاتيح التي تساعد الإنسان على فهم عقلية كل شعب من شعوب الأرض أينما كان.

وقد طلعت بلادنا فلسطين على العالم بحشد كبير من الأمثال الفلسطينية ؛ في كل مجال من المجالات و في مختلف المناسبات، وقد أثر هذا المثل الفلسطيني _ الذي هو جزء مهم من المثل العربي _ في أمثال شعوب عديدة ؛ و يعتبر الشعب الانجليزي من أهم تلك الشعوب التي تأثرت بالمثل الفلسطيني المعروف [٤].

أهمية الأمثال الشعبية وخصائصها :

وللأمثال أهمية كبرى في حياة المجتمع لأنها تعبر عن تجربة وتكشف عن فلسفته الاجتماعية والخلقية ويستعين بها الإنسان أثناء حديثه ليدل باختصار على حقيقة أمنت بها الأجيال[٥].

---

(١) محمد ماضي. **مرجع سابق**، ص٥.

(٢) فكتور سحاب. **التقاليد والمعتقدات والحرف الشعبية في فلسطين قبل** ١٩٤٨. ط١ (بيروت: دار الحمراء، ١٩٩٣) ص١٩١ _ ١٩٢.

(٣) محمد ماضي. **مرجع سابق**، ص٥.

(٤) عبد العال القدرة: **أمثال فلسطينية وإنجليزية** (في المال والعمل) ص١٤-١٥.

(٥) نبيل علقم. **مرجع سابق**، ص٣٣.

هذا ومن خصائصه تركيب الأمثال سهولة اكتنازها في الذاكرة وسهولة تلقينها إلى المستمع ليعيد المثل ويكرره، ومن أفضل دراسات الآداب الشعبية والأمثال منها بصورة خاصة، ما جاءنا من مفكري السويد حين يلخص (كارل باكستورم) السويدي أهمية الأمثال في النقاط الخمس التالية [١]:

١- تتحدث الأمثال عن سعادة من يتداولها وعن شقائهم وعن الغنى الفقر والشرف والخزي والجمال والقبح والقوة الضعف والعظمة والوضاعة.
٢- الأمثال من الناحية العلمية تريح النفس وتسخر وتمدح ثم تهزل في الوقت الذي تتضمن فيه أفكار جادة.
٣- تلقي الأمثال الدروس بأسلوب من المدح الحاذق وهي مليئة بكنوز من الأحكام السليمة والحكمة العلمية والعدالة والمشاركة والعاطفية ثم السخرية اللاذعة الذكية.
٤- تتكرر نفس الأمثال عند شعوب العالم المختلفة وإن لم يعبر عنها الناحية الشكلية بنفس الألفاظ.
٥- تستقبح الأمثال الرذيلة وتعلي من شأن الفضيلة فهي الصفات ذات قيمة تهذيبية.

الأمثال الشعبية إحدى الخصوصيات الثقافية التي يتسم بها شعب من الشعوب، وقد ينفرد شعب ما بترديد مجموعة منها، وقد يشترك فيها مع غيره من الشعوب مع وجود اختلافات بسيطة، كل حسب أسلوبه ولهجته[٢].

وأمثالنا جزء من تراثنا، تناقلته الأجيال عبر العصور من جيل إلى جيل حتى وصلنا بثوبه الحالي ولم تكن تلك الأمثال محصلة نزوة عابرة عبر عنها بعضهم من جراء ملاحظة مباشرة وإنما أتت ثمرة ملاحظات متواصلة وتجارب عديدة، ولم تكن أمثالنا تجميع كلام وصوغ أشعار بل هي انعكاس لظروف معينة عاشها الإنسان في حقبة زمنية، فرضت عليه تلك الظروف والاهتمام ببعض قوى الطبيعة في محاولة منه للاستفادة من جوانب الطبيعة والحذر من جوانب أخرى، ولم يكن هناك أقوى من عنصر المناخ في التأثير على الإنسان مما جعل الإنسان يفكر جلياً بالتغيرات المستمرة في الأحوال الجوية وترددتها المنتظمة وغير المنتظمة [٣].

ولقد وقعت عدة محاولات لتعريف المثل، ولا شك أن المثل شأنه شأن عناصر فولكلورية كثيرة يعود اختراعه إلى فرد نبيه وصاحب تجربة حياتية، و لكنه مجهول غالباً نتاجه الذي تركه ليردده الناس تأثر بهذا الترديد وأصابه بعض التطور، ليكون متداولا بين الجماعة وربما لم يحدث هذا الاختراع وتطويره بالنسبة لبعض الأمثال

---

(١) يسرى عرنيطة. **الفنون الشعبية في فلسطين**. منظمة التحرير الفلسطينية (بيروت: مركز الأبحاث، ١٩٦٨) ص١٨٧.

(2) http://www.islamonline.net/iol-arabic/dowalia/fan-39/alrawe1.asp

(٣) علي موسى. **الأحوال الجوية في الأمثال الشعبية** (دمشق. دار الفكر.١٩٩٧) ص أ.

إذ أنها وفدت من الخارج بالهجرة من منطقة أخرى وأصابها بعض التعديل، نظراً لاختلاف البيئة المستقبلة عن البيئة المرسلة.

وعبر عصور التاريخ نعثر على الكثير من تعريف المثل ونلاحظ أن محصلة كل التعاريف تركز على شيوع المثل، نظرا لحاجة المجتمع إليه، والى تداوله، وإن هذا التداول هو بالنسبة للعامة والخاصة من الناس معاً، مما يدلل على انه يرضي ويقنع العامة والخاصة كما تركز هذه المحصلة على إيجاز المثل، وإنسانيته، وكونه وليد تجربة، وانه في الأصل إنتاج فرد ذكي مجهول في الغالب وانه مطبوع بطابع تعليمي، وأنه سهل ليكون مفهوماً من الشعب وإن كان أحياناً عميق المغزى وكثيراً ما يكون فيه حكمة [١].

والسمات العامة المستفادة من مصادر هذا الموضوع تجمع على نقاط تميز المثل عن الأشكال الأدبية بأنه جمال التشبيه خلاصة تجربة الماضي، براعة التعبير، إيجاز في الكلام جودة في الصياغة لطف الكتابة وجمال البلاغة، ويضاف إلى الخصائص السابقة أن المثل ينطوي على فلسفة بسيطة في أسلوب شعبي لنفرق بينه وبين الحكمة التي تتعمق فيها الفلسفة في الغالب بالإضافة إلى أنه عبارة عن لقطة سريعة موجزة من الماضي في أسلوب فيه بلاغة وجمال ولطف[٢].

والمثل الشعبي هو نتاج لتداخلات التاريخ والثقافة والجغرافيا والآداب والاقتصاد والدين والعادات والتقاليد، وحين تنصهر كل هذه العوامل مجتمعة في ذاكرة الشعوب يخرج للوجود هذا العطاء العبقري بفلسفته الحادة اللاذعة المتقدمة والتي تفرز الحكمة البالغة في قليل من الكلمات والأمثال الفلسطينية، بالإضافة إلى كونها عنصراً هاماً من عناصر الأدب الفلسطيني، فهي تاريخ لا يرقى إليه الشك في تبيان الحالات النفسية والسياسية والاجتماعية _ كأية مثال في أية أمة _ التي عاناها الشعب الفلسطيني خلال حقب مختلفة من الزمن، فهناك مثال ظهرت إبان الحكم العثماني وأمثال أخرى برزت للوجود أيام الانتداب البريطاني، الذي كان السبب في كل ما أصاب فلسطين من ويلات وكوارث، وأمثال تناقلتها ألسنة الناس مع الثورات المتعاقبة في سبيل التحرير والاستقلال ومقاومة الغاصب المعتدي، من هذه الأمثال [٣]:

_ أرض ولدت عليها، لا تفرط فيها.
_ ارقص للقرد في دولته.
_ كلب الباشا باشا.

---

(١) فؤاد عباس. **معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية**. ط١ (عمان: دار الجليل ، ١٩٨٩) ص١٤.
(٢) سيد عليان. **مرجع سابق**، ص٣.
(٣) إسماعيل اليوسف. **الجامع في الأمثل العامية الفلسطينية**. ط١ (عمان: الأهلية للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٢) ص٨.

القيم الاجتماعية في الأمثال:

وتمارس الأمثال دوراً مميزاً في إبراز القيم الاجتماعية والاقتصادية في المجتمع، فمن خلال تداوله يسعى العامة إلى تعميق وترسيخ معاييرهم الأخلاقية، ونظراتهم الاجتماعية وعاداتهم وتقاليدهم ونظرتهم إلى الأمور، لذلك كانت الأمثال الشعبية دالة للتراث الحضاري[1].

الفلسطينيون كغيرهم من العرب ؛ شعب يميل إلى ضرب الأمثال ؛ يؤيد به الأقوال ويعلل به الأعمال والأفعال في كل مناسبة من المناسبات وفي كل موقف من المواقف، وللمثل عند الفلسطينيين مكانه هامة وحيز واسع من الاعتبار والتقدير.

ولو نظرنا إلى الأمثال الفلسطينية لوجدنا أن تلك الأمثال وثيقة الصلة بالبيئة (المكانية والزمنية) شأنها في ذلك شأن غيرها من الأمثال العربية المعروفة على مر الأزمنة والعصور.

وللأمثال الفلسطينية _ كما للأمثال العربية _ قيمة أخلاقية علاوة على قيمتها الاجتماعية وتصور العقلية الفلسطينية والنظرة الفلسطينية إلى الحياة، تماماً كما تصور الأمثال الانجليزية ونظرة الانجليز إلى الحياة وما ينعطف عليها [2].

وتظهر شخصية الفلسطيني في محاولته إعطاء بعض صفات شخصيته إن لم تكن كلها إلى ابنه فهو يحرص أن يكون قطعة منه، يوجهه، يعلمه، يربيه تربية صالحة لأن «الكلب المخاربي يجيب لأهله المسبة» فمن كان جيداً، فإنه كالشجرة التي تظلل على جذورها، ومن كان سيئاً فإنه يجر الشتم على أهله[3]:

رب ابنك وأحسن أدبه، ما يموت (تاي خلص) أجله.

الابن الفاسد يجيب لأهله المسبة.

ومع ذلك فالأهل غالباً لا يتخلون عن أبنائهم حتى لو ضلوا سواء السبيل، يحاولون إصلاحهم وترميم الخراب الذي حدث، وتلافي النتائج التي ترتبت على أعمالهم، والمثل يدلل على ذلك: "الغصن مني ولو مال".

لذلك فالأهل يضطرون إلى استخدام العنف لإصلاح أبنائهم، ولتقويم سلوكهم إذا حادوا عن الطريق أو سلكوا طريق الإثم أو الشر، ومع هذا يظل عنف الأهل غير قاس هدفه الإصلاح وإعداد الفرد للتكيف مع المستقبل، وإعادته إلى الطريق القويم: "سيف الأهل من خشب ".

---

(١) فوزي قديح. **منتخب الأمثال الشعبية الفلسطينية**. د.ن. ٢٠٠٣، ص٥.

(٢) عبد العال القدرة. **مرجع سابق**، ص١٣.

(3) http://www.palestine-info.net/arabic/hertiage/amthal/amthal.htm

لا أحد يستطيع التخلي عن أهله وأقاربه، لأن من لا أهل له لا وطن له، ولا يعترف أحد بقوة من تخلى عن أهله أو العكس (العزوة تساوي للانذل قيمة) يبقى عائشاً حياته على هامش حياة الآخرين حياة الذل.

اللي يطلع من ثوبه يعرى.

أهلك ولا تهلك.

اللي من دمك ما يخلو من همك.

عمر الدم ما صار مي.

ومع ذلك تنشب الخلافات حتى داخل الأسرة الواحدة، لكنها تحل وإن تأزمت على مبدأ التراضي لأن:

الظفر ما يطلع من اللحم.

أصلك يردك.

الحر ما يتنكر لأصله.

ويكون لرأس الأسرة أو العشيرة دور هام في حل المنازعات، لأن شيخ القبيلة أو سيد الأسرة صاحب تجربة، والآخرون يعترفون به ويقتدون بأعماله ويأخذون من حياته وتجاربه دليل عمل ويتوجب على رأس الأسرة أن يدفع المخاطر عنها، فالمثل التالي يوضح ذلك:

اللي مالو كبير مالو تدبير.

هكذا نرى أن الأمثال الشعبية ككل نتاج اجتماعي يحيا عملية متواصلة من التطور والتغيير بما في ذلك ذبول أمثال وموتها وازدهار أمثال أخرى بل ظهور أمثال جديدة، أما وتيرة الحركة والتطور فتتفاوت تبعاً لطبيعة المثل ودوره وتبعاً للزمان والمكان.

المثل، كما هو معروف، خلاصة تجربة، به يعبر الفرد عن تلك التجربة، وما أفاد منها وما استقر في نفسه من حكم عليها، ولأن التجارب يتعرض لها كافة الناس، وعلى اختلاف مستوياتهم الفكرية والاجتماعية والطبقية والدينية، ويستوي في هذا العالم والجاهل والمثقف والأمي [1].

الأمثال الشعبية:

يتفق علماء الفلكلور في العصر القديم والحديث على اعتبار الأمثال الشعبية والعامية هي من أهم الآداب وألون الفنون الشعبية التي تكشف عن التيارات الاجتماعية، والمظاهر الحضارية والكثير من التلميحات السياسية، ونحن نستطيع

(١) عبد الحافظ شمس. **دائرة الأقوال في الحكم و الأمثال.** ط١(بيروت: دار الخيال، ١٩٩٧)ص ١٢٦.

من خلال المثل الشعبي التعرف على أشياء كثيرة عن حياة الشعوب من حيث أفكارها ومعتقداتها وميولها وتوجهاتها [١].

تشابه الأمثال

كثير من هذه الأمثال تتشابه،بسبب تشابه البلاد العربية في العادات والتقاليد، و هذا أن دل على شيء فإنما يدل على عمق الوحدة الثقافية العربية، هذه الوحدة التي تجسد مصير العالم العربي وحتمية اتحاده السياسي والإقليمي، ولكن رغم كل مظاهر التشابه والتقارب توجد هناك أمثال معينة تميز كل دولة عربية عن غيرها، كذالك قد تميز كل ناحية أوجهة من نفس البلد عن الناحية الأخرى [٢].

وتتشابه الأمثال العربية مع الأمثال الغربية ففي العربية يقولون " الأعور بين العميان باش كاتب " وفي الإنجليزية يقولون:-**"Among the blind the one eyed man is a king"**

ويقولون بالعربية " موت يا حمار يجيك العليق " وفي الإنجليزية يقولون:

"Till the grass grows the stead stores"

ويقولون بالعربية " اللي بطلبه كله بفوته كله " وفي الإنجليزية يقولون:

"Grasp all lose all "

ويقولون بالعربية " ما بجيب الرطل إلا الرطل ووقيه " أو " لايفل الحديد إلا الحديد " وفي الإنجليزية يقولون:

"Diamond cuts diamond "

ويقول مثل روسي: " الأمثال عملة الناس "

ويقول مثل بوسني:" الأمثال في الكلام تضيء في الظلام "

ويمكن تفسير ذلك بتأثير الهجرات الثقافية على مر العصور التاريخية نتيجة لعوامل اقتصادية أو عسكرية أو سياسية، كما يمكن إرجاع ذلك إلى وحدة التجربة الإنسانية التي تنتقل من دائرة الفرد إلى دائرة الجماعة [٣].

والمثل العربي سهل الانتشار وسريع التداول لأن البشر بطبعهم ميالون إلى ما هو طريف ومختصر لا طويل ولا ممل، فربما أثرت كلمات بسيطة يتضمنها مثل أكثر من حديث طويل منمق، والمثل بحكم كونه نابعاً من واقع البيئة فإنه ينتشر فيها ويسرى بين أفراد المجتمع كما تسري النار في الهشيم فهو منهم وإليهم [٤].

---

(١) محمد ماضي. **مرجع سابق،** ص٦.

(٢) فوزي قديح. **مرجع سابق،** ص٤.

(٣) موسى علوش. **من الأمثال والأقوال والتعابير الشعبية الفلسطينية**. (رام الله: د.ن، ١٩٩٥) ص٢٠.

(٤) فوزي قديح . **مرجع سابق،** ص٥.

والمعروف أن الأمثال العامية تأتي بألفاظ غير فصيحة، ولكنها رغم ذلك تتميز برشاقة في اللفظ كتلك التي نجدها في الأمثال الفصحى، بل إن الأمثال العامية أقرب إلى اسماع الناس وقلوبهم على اختلاف طبقاتهم، ومن الأمثال الفصحى، وليس في الكلام ما هو أوقع في الأسماع، وأشد تأثيراً في النفوس من الأمثال[1].

أنواع الأمثال [2]:

ما ترك المثل قولاً إلا قاله وقد تنوع المثل إلى أنواع عديدة وهي:

أ. الحث على الجد والاجتهاد والترغيب في كسب الحلال مثل: الرزق بده نطة - الوظيفة إن ما أغنت.. سترت .

ب. بعض الأمثال تعكس عمق الإيمان بالله والتسليم بالقضاء والقدر مثل: العمر واحد.. والرب واحد - الأرزاق والأعمال.. بيد الله.

ت. بعض الأمثال تستنكر الكسل والاعتماد على الغير مثل: أكل ومر عى.. وقلة صنعة - حزموني وقمطوني.. ومالي على السفر نية.

ث. هناك أمثال تحث على عدم الطمع مثل: الطمع ضر ما نفع - إن لقاك الربيع.. ارتع قبله - بني آدم عينه فارغة.. ما يملاها إلا التراب.

جـ. أمثال بها أسماء مدن وقرى فلسطينية مثل: يافاوي.. يا برتقال .
حاوي يا بلح.
بربراوي يا عنب.

حـ أمثال فيها التشبيه بالحيوانات والطيور مثل:
فلان مثل الصقر.. بحضر الطعام من مناقير الطيور.
فلانة رقبتها.. مثل رقبة الزرافة.
إن غاب القط.. العب يا فأر.
فلان جمل.. محامل.

خـ أمثال فيها أسماء الفصول والشهور مثل:
في آب.. اقطف العنب ولا تهاب.
برد الصيف.. أحد من السيف.
في الصيف حريق.. وفي الشتا غريق.
آذار أبو الزلازل.. والأمطار.

ومن الأمثال ما تفرزه «حادثة» أو «حكاية» حيث تتلخص خبرة حياتية أو موقف في عبارة أو تعليق موجز، وقد وجد المثل سبيله إلى البلاغة العربية فيما

---

(١) إسماعيل اليوسف. **مرجع سابق**، ص٧ .
(٢) محمد ماضي. **مرجع سابق**، ص٧-٨.

عرف باسم الاستعارة التمثيلية حيث يوحي بإجراء تشبيه بين حالتين: الحالة الراهنة التي يستعير فيها القول المتمثل به والحالة التي صدر عنها ذلك القول، ويكون المثل إشارة موحية تتكئ على خبرة حياتية سابقة [١].

وظائف الأمثال [٢]:

مما سبق يتضح أن للمثل وظيفة يؤديها وغاية يبررها، وهو من أجل ذلك يضرب عندما يكون هناك حاجة إلى ذلك من أجل تقديم الحجة وتوضيح الحقيقة وإسداء النصح وتفسير الحقائق وتبرير الأعمال ومقارنة الأفعال ووصف الواقع ونفي الأمور والنهي عن المحظور والتنبيه إلى ما هو حاصل.

فلتدعيم الحجة يقال: جار تصابحه كيف تقابحه.

ولتجسيد الحقيقة يقال: عدو جدك مابودك.

ولإسداء النصح: على قد فراشك مد رجليك.

وللتبرير يقال: الرجال محاضر مش مناظر.

وفي المقارنة يقال: مثل خطيب جمزو، ومثل عريس كوبر.

الأمثال هي ذاكرة الشعوب، وحافظة تجاربهم وخبرة أجيالهم، وهي ترجمة صادقة للحس الشعبي المصاب باللهجة المحكية، وانتشر المثل نتيجة تعبيره عن حادثة معينة، قاله شخص مجهول ليصبح فيما بعد مع مرور الأيام ملكاً لعامة الناس يرددونه في الحالات المشابهة للحادثة أو الواقعة التي قيل فيها.

كثير من الأمثال الشعبية الفلسطينية تحمل صفات الحكمة وتعبيراتها، وتتفق إلى حد كبير مع شبيهاتها من الأمثال الشعبية العربية، نتيجة تشابه وتجانس الأجواء واللغة والتاريخ والأحداث ومن هنا ليس غريباً أن نجد مثلاً شعبياً فلسطينياً له ما يشبهه في الأمثال الشعبية العراقية أو المصرية أو غيرها من البلاد العربية من حيث الصياغة والمفهوم.

لدى الشعب العربي الفلسطيني ثروات هائلة من الزاد الثقافي والفكري بما فيه من مجازات وكنايات ورموز وأمثال، وتتفاوت الأمثال باختلاف مواضيعها، ويجد الإنسان مثلاً أو أمثالاً لكل ما يخطر بباله من موضوعات تتصل بالحياة على اختلاف بيئاتها، وقد يجد كثيراً من الأمثال تحمل معاني متضاربة ويذفي بعضها بعضاً، إلا أن الناس يولون الأمثال ثقة شبه تامة في تصديق أقوالهم وحالاتهم النفسية [٣].

---

(1)http://www.palestine-info.net/arabic/hertiage/amthal/amthal.htm

(٢) موسى علوش. **مرجع سابق**، ص٢٩.

(٣) أحمد حجازي. **موسوعة الأمثال الشعبية الفلسطينية**. ط١ (عمان: دار أسامة، ٢٠٠٣م) ص٧.

إن التراث ليس شيئاً عفا عليه الزمن وبندثر، كما أنه ليس شيئاً للتاريخ والمتحف فقط، بل هو في الحقيقة سجل عبقرية هذه الأمة، و هو كذلك القوة الدافعة لإعطاء الأمة شعور ومطمحاً للوحدة والديمومة [١].

ويؤكد على هذا و يدلل عليه " المثل الشعبي نفسه الذي يتخذه أبناء الشعب الفلسطيني مثلاً استهلاليا ومفتاحياً لأقوالهم قائلين:

المثل ما خلاش إلا ما قالها.

ليبرهن بهذا المثل الشعبي الفتاحي شمولية المثل الشعبي وخاصية تغطيته لجميع عناصر الحياة الأدبية والمادية [٢].

وأن تراثنا على وجه الخصوص لا يمكن لأحد تفسيره إلا أبناءه المتعايشون له لأنهم الأقدر على معرفة أسرار لهجته العامية التي يتداولونها شفاهية، فأهالي نجد أدرى بشعابها كما يقول المثل العربي وأبناء الشعب الفلسطيني يقولون:

ابن بطني بيعرف وطني

خاصة وقد فرضت علينا منذ القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وحتى اليوم هيمنة ثقافية كادت تشلنا حتى عن التعبير عن تراثنا الذي هو مصدر هويتنا فأصبح العديد من العرب لا يكتبون عن تراثهم إلا مما يترجمون عن المستشرقين العساكر المقنعين بقناع الرحالة ودارسي الآثار والمرتدين لباس المبشرين من دارسي التراث، وقد حاولوا جميعاً جاهدين أما رد هذا التراث إلى من هم غير العرب أو تشويهه ولتخفيف من وجدان الشخصية العربية واستغلالها بالنفاذ داخل أفكاره لسهولة غزوه عسكرياً وثقافياً والسيطرة عليه كما حدث فعلاً قبل الحرب العالمية الأولى وبعدها، أو كتابته بلغتهم مما يخرج عن المعنى المراد به ويفقد التراث نكهته التي هي من خصائصه [٣].

وهكذا استمرت العامية كأداة فنية تعبر بسلاسة عن مشاعر هذا العربي الفلسطيني ووجدانه فكانت وسيلة التفاهم و حل قضاياه لتؤكد صلابته وقدرته على التأقلم معها جميعا و لتعكس بمفرداتها المتنوعة تفاعلات هذا الشعب مع الشعوب الأخرى سواء عن طريق علاقته الثقافية أو الاقتصادية والهجرات الطبيعة أو الناجمة عن الغزو الاستعماري والثقافي لموقعها [٤].

---

(١) كامل اسعفان. **التراث وواجبنا نحوه**(القاهرة: مكتبة الانجلو، د.ت) ص ١٣.

(٢) سليم المبيض. **ملامح الشخصية الفلسطينية في أمثالها الشعبية**. مرجع سابق، ص٧.

(٣) سليم المبيض. **الجغرافيا الفلكلورية للأمثال الشعبية** (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦) ص١٩.

(٤) سليم المبيض. ١٩٩٠. **مرجع سابق**، ص٧.

صفات المثل الشعبي[1]:

المثل الشعبي يبحث في جذور الشعب عن الأصالة والحقيقة، و هو أحد روافد الأدب الشعبي له أدوات تعبيره، ووسائل تصويره، طبائعه ومميزاته التقط من أفواه الناس وبحث فيه العديد من العلماء القدامى والمحدثين، وأكدوا أنه صورة عن حياة أناس تلمس همومهم وقضاياهم بحيث بات شكلا فولكلوريا شائعا في كل الأجيال وموقفاً صادقاً يختزن وجهة نظر تحتمل خلاصة التجارب الاجتماعية المادية، ولذلك للمثل واقعية تجريبية تتحرك فيها القوانين الأساسية للتطور الاجتماعي، كما يمتاز بخصوبة تصويرية شأن أي فكر، والمثل نتيجة هذا كله و عاء يحفظ التراث النفسي الخالد للمجتمع.

ولا بد من أن نلاحظ أن كثيراً من الأمثال لا تتفق، بل تتناقض لو وُضعت جنباً إلي جنب كمثل قولهم: «الجار للجار ولو جار» وقولهم: «يا جاري أنت بحالك وأنا بحالي» الأول يدعو إلي التضامن مع الجار في كل حال، والثاني يدعو إلى الانصراف عنه، ولو قلنا إن المثل خلاصة فكر الشعب وخزانة حكمته لحقّ لنا القول إن هذا الفكر متناقض إذ يجمع هذين المسلكين معاً غير أن التناقض هنا ليس سوى مظهر إباحة الاختصار، فلو فُصّل المثلُ الأول فيه، إن الجار لزم أن يذجدَ جاره في مصيبته أو حاجته وأن يسارع إلى مواساته، ولو بدا قبل ذلك من الجار سلوك جائر، وأما المثل الثاني فلو فُصّل لقيل فيه: دع جارك و شأنه وانصرف إلى شأنك ولا تتدخل فيما لا يعنيك، والحق أن المثلين لا يتناقضان لأن مواساة الجار والمسارعة إلى نجدته أمر يعنيك، ولا يضايق جارك، بل يسعده ولكن واجب الجار حيال جاره لا يُطلق يده في كل شؤون هذا الجار[2].

وهذان المثلان يبيّنان أن الحكمة الشعبية ثرية ثراء لا يوصف، إذ جعلت لكل حالٍ حكمة ولكل احتمال عبرة، ولكن إذا أشاد مثلٌ بالأب وجعله عمود العائلة وعمادها وناقضه مثل آخر يُعدُّ الأم ركيزة العائلة وحاضنتها فليس لأن الفكر الشعبي متناقض، بل لأن التجارب والحالات شديدة التنوع ولكل حالة وتجربة مثل، ولو اقتصرت الأمثال على إظهار جزء من الخبرات الاجتماعية المتناقضة لما حق للدارسين أن يعدوا الأمثال صورة للفكر الشعبي وللتقاليد الاجتماعية، ولكان ظهر جزء من الصورة وخفي جزء، ووظيفة الأمثال ليست قطعاً إظهار الشعب في مظهر

---

(١) يسرى عرنيطة. **مرجع سابق**، ص١٨٧-١٨٨

(2) http://www.palestine-info.net/arabic/hertiage/amthal/amthal.htm

منطقي متجانس أمام الدارسين، بل الأمثال خزانة تراث تتراكم فيها صور الحياة وعبرها بكل تناقضاتها وتنوّعاتها[١].

معنى المثل: (إللي ما له أرض.. ما له عرض)

الأرض والعرض، الشرف، يتساويان في كفة ميزان.

إن هذا المثل الشعبي الفلسطيني يؤكد على قوة تمسك الإنسان الفلسطيني بأرضه واعتزازه بها وعدم التفريط بسنتمتر واحد منها مهما بعدنا عنها، ومهما ابتعدت عنا، فإن الشعب الفلسطيني مازال موجوداً في الشتات أو في الوطن، فإنه مازال جزء كبير من أرضنا مغتصباً، ومازال شعبنا محتفظاً بأوراق أرضه محتلة في فلسطين وهذه المستندات هي شهادة "الطابو"، إثباتاً واعتزازاً بأنه مازال يؤمن بأن أرضه مازالت موجودة ومدونة باسمه في المكان المسمى باسم قريته أو بداوته أو عزبته أو خربته أو مدينته وما فيها من معالم مازالت موجودة من آثار بعض المباني من المدارس والمقابر والجوامع والأضرحة والجبال والوديان والأشجار والرمال [٢].

الحكايات الشعبية

إن التجربة في الحكاية الشعبية بشكل عام هي تجربة خصبة ثرية تمتاز بتنوعها وتباينها وهي تجربة أصيلة تعبر عن واقع المجتمع وخاصة تجربة السواد الأعظم من الجماهير التي تعيش الحكايات في أذهانها ثم تنمو مكتسبة ألواناً وأصباغاً ذات دلالات، وخاصة أن هذه الطبقات هي الأكثر جذرية والأوسع امتداداً وهي التربة الخصبة التي تنمو فيها الحكاية وتجد فيها البيئة الملائمة للبقاء وما دمنا بصدد تقييم التجربة فيها فهي إذن تجربة جماهيرية أصيلة عريضة عريقة في وجودها السحيق الذي قد يمتد إلى مئات أو آلاف السنوات، فالإنسان هو الإنسان بعواطفه وهمومه وآلامه وصراعه من أجل البقاء بغض النظر عن الوسائل التي يستخدمها في تحقيق غاياته سواء أكانت بدائية أو متطورة والبحث عن الوجود ومحاولة قهر الطبيعة وركوب متنها هي أهداف أزلية تابعت الإنسان منذ لحظة وجوده وظلت تواكبه إلى أخر مراحل تطوره العلمي والتكنولوجي فغاية الإنسان في الحياة واحدة

---

(1)http://www.palestine-info.net/arabic/hertiage/amthal/amthal.htm

(٢) محمد ماضي. **مرجع سابق**، ص٩.

وإن ما ينوبه من تغير في الوسيلة وطريقة التفكير والامكانات المادية والعقلية ليس إلا نتيجة التجربة المتراكمة في سلم الحضارة [١].

يعد العديد من الباحثين والمعنيين بالتراث وتصنيفه أن وظيفة الحكاية الشعبية هي التعويض عن عدم مقدرة الإنسان على تحقيق رغبات معينة كان من الصعب عليه تحقيقها والحكاية الشعبية الفلسطينية ليست بمعزل عن هذا التفسير، ولذلك فإننا نرى في القصص الشعبي الفلسطيني تعويضاً عن الجوع وعن العجز أمام المرض العضال، وعن الانسحاق أمام المضطهد، فنجد في ثنايا الحكايات الحطاب الفقير وقد حصل بطريق الصدفة على «باطية» يمتلئ بالطعام بمجرد دعوته لذلك ونجد الأعمى وقد جلس تحت شجرة فأرسلت له العناية الإلهية حمامتين تتحادثان وتقول الأولى للثانية أن الأعمى إذا تكحل بريشي من دمك فسيبرأ ويسرع الأعمى الملهوف على مداواة نفسه بالطريقة الرائعة التي هبطت عليه من السماء ويبرأ أما الشاب الفقير المضطهد والذي أهمله الناس وأهدروا حقوقه يجد خادماً ذا قوة خارقة يعينه على أن يبرز نفسه وينال إعجاب الجميع بتحقيقه للمعجزات أو بقضائه على مضطهديه[٢].

والتراث القصصي الشعبي لم بفقد جذوره أو أصوله وسماته وخصائصه الشفاهية برغم التدوين أو التسجيل الكتابي أو التعبير الإملائي لنصوصه[٣].

والأصل في الحكاية الشعبية أنها تقصد إلى غاية بل أن الحكايات التي تستهدف تقضيه وقت الفراغ في ظاهر الأمر للتسلية والترفية، ولكن تقصد غاية أخرى وراء ذلك ربما تأكيد معرفة أو تأصيل قيمة إنسانية أو تأكيد مثل اجتماعي أو أخلاقي [٤].

وأن للحكاية الشعبية تأثيراً واضحاً وإن كان غير مباشر أو ربما مباشراً في بعض الأحيان في تشكيل الحضارة الإنسانية فأولئك العلماء الذين يبكرون الخرافة والأساطير والميتافيزيقيات إنما عاشوا في ظل مجتمع شكلت فيه هذه الأمور كثيراً من القيم والعادات والتقاليد والنوازع الاجتماعية التي رسخت و صارت جزءاً من كيان كل فرد بشري لا يمكن الخلاص منها وأولئك العلماء المذكرون لهذا الفكر الشعبي والأسطوري بطبيعة الحال هم بعض هذا المجتمع ومن ناحية أخرى فإننا يجب أن نلاحظ أن التجربة في الحكاية الشعبية هي تجربة بسيطة طفولية ساذجة وسبب ذلك أنها صادرة عن الإنسان العادي البسيط الذي يتناول في كثير من الأحيان

---

(١) علي أبو فخيدة. **مرجع سابق**، ص٧.

(٢) http://www.palestine-info.net/arabic/hertiage/stories/stories.htm

(٣) محمد النجار. **من فنون الأدب الشعبي في التراث العربي**.ج٢ (القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٣) ص١٥٢.

(٤) عبد الحميد يونس. **الحكاية الشعبية** (القاهرة: دار الكتاب العربي، ١٩٦٨) ص٨٤.

قضايا حياته اليومية العادية ببساطتها ليصورها في حكايته فليس الحكاية فكراً مفلسفاً خضع لكثير من الدراسة والتأمل [١].

إن فن الحكاية الشعبية الفلسطينية فن متطور، وأسلوبه غير مصطنع، لكن له تقاليد فنية (لغوية وأدبية) تميزه من فنون السرد الشعبية الأخرى، ويرتكز هذا الأسلوب على ضروب في الكلام ذات أناقة لا تتوفر في المحادثة العادية، وخصوصاً في حديث الرجال، وأن النساء طورن هذا الأسلوب ويرجع الفضل إليهن في نقل هذا الصنف من التراث عبر الأجيال وتكون رواية الرجل الذي يود أن يروي الحكاية اشعبية مرضية، عليه أن يتبنى أسلوب النساء السردي[٢].

والحكاية الشعبية هي نافذة عقلية نستطيع من خلالها أن نلقي الضوء على الخيال البشري في مراحل تطوره المختلفة، كما أننا نستطيع من خلالها أن نحدد بعض القسمات والملامح لهذا الخيال الطفولي الذي بلا شك ساعد على تشكيل المجتمعات البشرية المولودة والمتوارثة [٣].

إن استعادة الحكاية الشعبية وقراءتها من جديد على الأجيال الناشئة هي شكل من أشكال استعادة صورة الوطن واستحضارها في الذاكرة، فالحكايات الشعبية ترتبط في الذاكرة بتلك الأيام الأولى من العمر، عندما كنا نستمع إليها لأول مرة من أفواه الأم والخالة والجد والراوية في محيط القرية، هذه الحكايات مرتبطة تماما بملامح القرية، لأن الرواة عندما كانوا يتبسطون في القص وإعطاء التفاصيل الإضافية كانوا يربطون الأحداث وحركة الشخصيات بمحيط القرية التي يعيشون فيها.

هذه الحكايات لا يمكن إلا أن تنسجم مع صورة الأرض بما فيها من جبال ووديان وطرق وغابات وإلا لما كان من الممكن أن تستمر هذه الحكايات في الذاكرة، وتظل محل اهتمام الشعب، منتقلة شفوياً من جيل الى جيل [٤].

والحكاية الشعبية تروى في إطار قصصي معين يميزها كصنف أدبي ليس فقط من القصص التي تروى في ديوان الرجال، بل أيضا من أصناف القصص الشعبي التي تدور في أطر أخرى في المجتمع الفلسطيني، ومن هذه الأصناف نذكر الحكاية التي تفسر المثل والحكاية التي تصف حدثاً ونادراً (النهفة أو النادرة)،

---

(١) علي أبو فخيدة. **مرجع سابق**، ص٨.

(٢) إبراهيم مهوي. **قول ياطير**. نصوص ودراسة في الحكاية الشعبية الفلسطينية (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية،٢٠٠١) ص٩.

(٣) علي أبو فخيدة . **مرجع سابق**، ص٧.

(٤) نمر سرحان. **حكايات شعبية في فلسطين**. ط١ (القاهرة: دار الفتى العربي، ١٩٨٧) ص٥.

والحكاية التي تروي حدثاً (السالفة) وحكاية الحيوان، وحكاية الجان وحكاية الولي، وكذلك الأسطورة والمغامرة [١].

والسير والحكاية الشعبية أكثر تاريخية من الأساطير بطبيعة الحال إذ أنها أقرب لأن تكون رؤية وجدانية شعبية للتاريخ وأحداثه وأبطاله، ومن ناحية أخرى لا ينتمي فن الحكاية إلى عصر بعينه وإنما هو نتاج تاريخي مستمر في إطار فني تلقائي [٢].

وهناك مسألة العلاقة بين الحكايات الشعبية الفلسطينية والنكبة التي أصابت الوطن الفلسطيني بعد الغزو الصهيوني، كما أن هناك حكايات مشهورة بين الأقطار العربية بحكم وحدة الثقافة العربية ووحدة الأرض والتاريخ، لم تنقطع أوصالها إلا نتيجة إقامة الكيانات المختلفة منذ عهد قريب، أما الطابع المحلي البحت فنجده في حكايات أشبه بالحتوتة أو الخبرية المحلية، بينما الحكاية الخرافية وحكاية الحيوان لها جذور وصلات عربية بل وفارسية أو هندية أو عالمية.

انه من الأهمية بمكان، في هذه المرحلة من تاريخ الوطن أن يركز الباحث الفولكلوري الفلسطيني اهتمامه على جمع ودراسة الحكايات الشعبية التي نبعت من قرى و مدن فلسطينية بعينها بحيث يساعد على خلق الصلة بين الثقافة الشعبية والأرض التي وصل العدو ابتلاعها وتهويدها وتغيير أسمائها ليخلق واقعاً يقف وراءه وينكر حق شعبنا في أرضه ووطنه [٣].

وتشكل الحكايات الشعبية الفلسطينية جزءاً من تراث القصص الشعبي العربي وتحكى باللهجة الفلسطينية ذات الفرعين: الفلاحي والمدني، ويرجع طغيان الحكايات الفلاحية على المدنية في هذه المجموعة الى ازدياد عدد الرواة الفلاحين على المدنيين، فكان يتوفر الفراغ لرواية الحكايات ويتميز الرواة المدنيون من نظائرهم الفلاحين بكونهم أكثر تهذيباً في استخدام اللغة واقل استعداداً للإيمان بالمعتقدات الشعبية [٤].

ويحفل التراث الشعبي العربي بكم هائل من طراز الحكاية الشعبية، التي مازالت محفوظة وشائعة حتى الآن، إما بفضل التدوين خلال كتب التراث، أو من خلال التواتر الشفاهي عبر الأجيال وقد اعتمد عليها المسرح العربي والمصري منذ نشأته حتى الآن في استلهام موضوعات لعديد من مسرحياته.

---

(١) إبراهيم مهوي. **مرجع سابق**،ص٩.

(٢) قاسم عبدوه قاسم. **بين التاريخ والفلكلور.** ط٢(القاهرة: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية،٢٠٠١) ص٤٨.

(٣) نمر سرحان. ١٩٧٨. **مرجع سابق**، ص٧.

(٤) إبراهيم مهوي. **مرجع سابق**، ص١٤.

وتعتبر الحكاية الشعبية من حيث القدم من أقدم الموضوعات التي ابتدعها الخيال الشعبي وعرفها الإنسان في كل مكان، فالرواية الشفاهية " للحكايات أقدم بكثير من التاريخ، ولا ترتبط بقارة واحدة " ((١فقط ترتبط بعقلية الإنسان الذي ابتدعتها عقليته الجمعية، ليحملها "بمقولته الفكرية وأسلوب النظرة التأملية التي يرى بها الإنسان وجوده، والوجود المحيط به سواء أكان ذلك من واقع الحياة، أم مما يتخيليه لما فوق الحياة الطبيعية " (٢).

ومن نماذج الحكايات الشعبية (٣)الجمل والحمار الباطية - العنزة العنزية- نص انصيص - الشاطر محمد- القرصة الزلمة والحية- بنت تايه الرأي - اللبيب والإشارة- فرط رمان ذهب - الطوير الأخضر لم تشبع "نجمة" من اللحم- المعز بن صالح - الربيع يأتي رغم شتاء الاحتلال الطويل.

(١) سيث طومسون. **الحكاية الشعبية: عالميتها وإشكالها. ترجمة:** احمد آدم ، ع٢١ (القاهرة: مجلة الفنون الشعبية ١٩٨٧) ص٨٠.

(٢) صفوت كمال. **مدخل لدراسة الفولكلور الكويتي** . ج٣١ (الكويت: وزارة الإعلام، ١٩٨٦) ص ٢٤٢.

(3) http://www.palestine-info.net/arabic/hertiage/stories/stories.htm

التراث الفني

١ - الأغاني الشعبية

تشكل الأغنية بنوعياتها المختلفة عنصراً هاماً وأساسياً ولوناً خاصاً، له أهميته الكبرى بين إبداعات وممارسات الإنسان العربي الفنية والموسيقية والأغنية إبداع مشترك بين كل الشعوب مهما اختلفت مستوياتها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية [١]، وتعد الأغنية الشعبية انعكاس واضح لواقع الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية في المجتمع [٢].

وتسعى الأغاني الفلكلورية إلى تحقيق غاية أخلاقية سلوكية أو تعليمية أو تؤدي وظيفة تدريبية لاستيعاب العادة أو التقليد أو لاكتساب قدرة ذهنية أو جسمية أو تحقيق متعة فنية لمن يؤديها ويستمع إليها [٣].

إذا كانت المحنة التي مَرَّ بها شعب فلسطين منذ بدايات القرن العشرين وحتى يومنا هذا قد أثرت تأثيرًا واضحًا في ثقافته وفي أغانيه كجزء من هذه الثقافة، إلا أن هذا لم يمنع الشعب الفلسطيني أن يصرِّح بأغنيات تعبر عن أحواله المختلفة في الأفراح والأعياد وحتى أثناء العمل والتجارة [٤].

والأغنية الشعبية الفلسطينية، تطورت عبر مراحل زمنية من الأغنية العاطفية إلى الحزينة إلى المقالة وهنا يقتضي الأمر منا وقفة عند موضوع الأغنية لأنها العنصر، الأكثر وضوحاً الذي يشكل التداخل البارز بين عناصر التراث الشعبي التقليدية، والموروثة منذ قديم الأزمان مع دوافع المقاومة التي انطلقت من الشعور بالحيف والظلم الذي وقع على المجتمع في الزمن الذي كان فيه الفلسطينيون يعِّولون على الأمة العربية لتقوم بتحرير أرضهم، وفي المراحل التاريخية التي كانوا يلعبون فيها دوراً ثانوياً في المقاومة، بعد الدور العربي، كان الغناء الشعبي يدور حول تمجيد الوطن، والتحسر على ضياعه، والتنديد بالسماسرة وعملاء الأعداء والتشوق للأرض التي أصبحت وراء الاحتلال والحديث عن أحزان الاغتراب والهجرة [٥].

---

(١) فتحي الصنفاوي. **مدخل إلى دراسة المأثورات الشعبية الغنائية (الفلكلور الغنائي)**. (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠١) ص٤٩.

(٢) هاني الهندي. **الحزن في الأغنية الشعبية الفلسطينية**. ط١ (عمان: دار البشير، ٢٠٠٧) ص٥٣.

(٣) محمد الجوهري. **رشدي صالح والفلكلور الشعبي: دراسة لأعماله وفصول من تأليفه. ط١** (جامعة القاهرة: كلية الآداب – مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، ٢٠٠٣) ص٣٢٢.

(4)http://www.islamonline.net/iol-arabic/dowalia/fan-35/alrawe.asp

(5)http://www.dr-arzz.net/archive/index.php/t-1574.html

وتشكل الأغاني الشعبية حلقة الوصل بين الماضي والحاضر، وتعلق المواطن الفلسطيني بأرضه وحبه الشديد لقريته، وحرصه على حماية تراثها، وتحفظ هذه الأغاني شخصيته وعواطفه وهمومه باللهجة العامية المتداولة في كل قرية أو مدينة، وتمدح شباب هذه القرية ونسبها وحسن نباتها [١].

والغناء الشعبي ربما هو الفن الأكثر شمولية من حيث قدرته على قيادتنا إلى جميع السلوكيات وكان الغناء يستخدم كوسيلة للتعبير عن العشق والحزن والفرح وما إلى ذلك ولكنه من بابٍ خفي كان سجلاً لسلوكيات عصره بحيث نستطيع فهم حيثيات هذا العصر الذي أنشئت فيه الأغنية من خلال مفرداتها، ولنأخذ هذه المقطوعة البسيطة من أغنية جفر وهنا نتحقق مثلاً من طريقة عمل الخبز في ذلك الزمن وتلك المنطقة وبتدقيق أكبر قليلاً نعرف أن الوشم أيضاً كان من سمات الجمال لأن البيت يروي أحياناً " مدقوق ع صديرها" وهناك الكثير من الأمثلة التي تختصر حياة الفلاح الفلسطيني في جمل سواء أكانت هذه الجمل أغانٍ أم أمثال [٢].

وهناك نوعين من الغناء الشعبي، الأول: الأغنية الفلولكلورية التي تعتمد لحناً شعبياً قديماً مميزاً بالثبات والتواصل مثل الجفرا، العتابا، الميجنا، دلعونا، يا ظريف الطول، يا غزيل يا هويولي عالأوف مشعل، ليابليا، أبو الزلف، والثاني: الأغنية الشعبية – التي تعتمد لحناً شعبياً قديماً يمتزج باللهجة العامية، " للوصول إلي وعي جديد في ضبط أشكال هذه الأغاني لم يحقق أكثر من تسمية جديدة تنطبق مباشرة علي محاولات التسمية القديمة [٣].

إن التراث هو أساس ما نستلهم في التلحين وهناك أغاني المواسم والألعاب يتم تلحينها بأسلوب حداثي بالاستعانة بالموسيقى الشعبية الفلسطينية القديمة وذلك من أجل تواصل هذه الأغاني والنصوص مع الأجيال القادمة والحفاظ في نفس الوقت على هذا الميراث العظيم[٤].

نماذج الغناء الشعبي*.

يمكن تقسيم نماذج الغناء الشعبي في فلسطين إلى نوعين رئيسيين: الأول: عادة يؤديه فنان شعبي منفرد ومتخصص في أداء هذا اللون، والثاني: هو كل ما عدا ذلك

---

(1)http://www.islamonline.net/iol-arabic/dowalia/fan-35/alrawe.asp

(٢) خالد جمعة. **مرجع سابق**. ص٤.

(3) http://www.arabtimes.com/osama-all/doc21.html

(4) http://online.yahala.co.il/interview/article.php?yahala=2&id=25

* للتعرف على المزيد من نماذج الغناء الشعبي الفلسطيني انظر إلى الملحق رقم (٤) ضمن ملاحق الدراسة.

من نماذج الغناء الشعبي، فأما نماذج النوع الأول فسنعرض لها من خلال عرض شخصية الفنان الشعبي الذي يقدم هذا اللون:

الحدَّاء

هو ما يوازي الفنان الشعبي الذي يطلقون عليه في لبنان اسم "الزَّجال" أو "القوَّال"، ويطلق أهل شمال فلسطين مصطلح حدَّاء على الشاعر الشعبي المبتكر لأغاني الشعب الذي يدعى لأحياء الاحتفالات الشعبية في مناسبة العرس، ويشترط في الحدَّاء أن يكون صوته رنَّانًا جهوريًا، وأن يكون حاضر البديهة قادرًا على التحاور والتناظر، فقد جرت العادة أن يثير الجمهور المنافسة بين الحدائين ليتناظروا، ومن أشهر المناظرات المرتجلة تلك التي يدور موضوعها عن السمراء والبيضاء، والحياة القروية والمدنية والسيف والقلم.

الشاعر الشعبي

هو الفنان الشعبي الذي يقف أمام الجمهور ليتلو قصائد وقصصًا من التراث الشعبي بمصاحبة الرَّبابة في الغالب، ويعتبر الشاعر الشعبي لسان الجمهور وواعظه وباعث الحماسة فيه، وقد يقوم أحيانًا بدور المونولوجست والمهرج، فهو يروي النِّكات لجمهوره في أثناء إلقاء الرواية.

المُنْشِد

وهو الدرويش الذي يتلو المَواجِد الصوفية في الحضرة أو يقرأ قصة المولد ويتلو فيها من أشعار، ثم يتلو المدائح النبوية أمام الجمهور من المؤمنين المحتفلين بيوم مولد النبي صلى الله عليه وسلم أو في مناسبة من المناسبات الاجتماعية التي يودون أن يتبركوا فيها بذكر النبي صلى الله عليه وسلم ومدحه [1].

أغاني العمل والعمال في فلسطين

وتُعَدُّ أغاني العمل مثل أغاني الأعراس والاحتفالات الدينية مجالاً يشير إلى شمول التعبير الغنائي كل مجالات النشاط الإنساني للشعب الفلسطيني أو معظمها، فتكاد لا توجد مهنة إلا يعبر عنها بالغناء خاصة وأن الشعب الفلسطيني بدأ يحس بوجدانه الشعبي أنه مهدد بالتدمير والاغتراب والتشويه لذا فإنه يتشبث بكل أصوله وجذوره ويحرص أشد الحرص علي تواصله الكامل عبر كل إمكاناته الثقافية العميقة[2].

---

(1)http://www.islamonline.net/iol-arabic/dowalia/fan-35/alrawe.asp

(2)http://www.arabtimes.com/osama-all/doc21.html

وتتناول أغاني الأرض، الحراثة، الحصاد، قطف الزيتون الرعي، أغاني المطر، أغاني الهجرة، وأغنية العمل ارتبطت بالأرض [١].

وتعتبر الأغنية الشعبية الفلسطينية من أبرز ألوان التراث الشعبي الفلسطيني التي أولا ها الدار سون اهتماماً خاصًّا، حيث تشترك الأجيال في إبداع كلمات هذه الأغنية، و صياغة إيقاع ها وتعكس الأغنية الشعبية الفلسطينية صورة حية دقيقة لأشكال الحياة وهمومها وتعبر عن مدى امتزاج الوجدان الجماعي وأحلام الناس برائحة الأرض، وعبق التراب بالعرق والدم، حيث تظهر قوة اعتزاز الشعب الفلسطيني بقيمه وتقاليده وتضحياته وتصور أمانيه وتطلعاته إلى العيش بحرية وكرامة وعزة.

وتشير الباحثة "رنا درويش" إلى أن الأغنية الشعبية تستمد لونها من طبيعة المنطقة التي تظهر فيها، فلكلٍّ من الجبل والسهل، والسفح والساحل، والوادي والبوادي أغانيه وأهازيجه ومواويله، ففي المرا عي الجبلية والبوادي شاع الحُداء الشفاف الذي نقل معاناة الشباب و صوّر عشقهم، وأحلامهم بفتيات الحيّ، وراعيات قطعان الماعز والضأن، وأما المصدر الثاني فكان الموسم الذي تصوره فلكل موسم أغانيه وأهازيجه الخاصة، فأهازيج موسم القطاف تختلف عن الحرث والبذر والحصاد والمصدر الثالث هو المناسبة التي ترتبط بها، حيث برزت الأغنية الفلسطينية في منا سبات الأفراح من خطبة، وزواج وختان، و شهدت ليالي السمر والأعراس رقصات الشباب، ودبكاتهم وهم يغنون على أنغام الآلات الشعبية "كاليرغول والشبابة" [٢].

أن العرب لم يعد بوسعهم تحرير فلسطين.

أن الفلسطيني يجب أن يأخذ بيده زمام قضيته.

أن مكونات الذات الفلسطينية موجودة (في الفولكلور، بما في ذلك التصميم على التحرير كعقيدة شعبية راسخة).

أن الشعور بالهو ية الوطنية، قد را فق الإنسان الفلسطيني منذ أن بدأ وعيه بهوية متميزة مع العقد الثالث من القرن العشرين تعبير الإبداعي الشعبي الفلسطيني يعبر عن هذه الهوية في ظروف محددة وعندما يمتلك الشعب الأدوات الضرورية للجهر بما يشعر به، ويمتلك القدرة على الدفاع عن مشاعره، بالضبط وصف أبو هشام الجلماوي ذلك في هذه الطلعة:

المد الثوري ف كل بيت

---

(١) علي الخليلي. **أغاني العمل والعمال في فلسطين. عرض ونقد:** أسامة فوزي.ط٢ (بيروت:منشورات ابن خلدون، ١٩٨٠) ص٥.

(2)http://www.dr-arzz.net/archive/index.php/t-1637.html

حتى اللي ساكن الكويت
لولا الثورة ما غنيت
ولا يمكن يسمحوا لي

أشكال التعبير

يترسخ في الذهن الشعبي الفلسطيني شعور عميق بأن فلسطين هي الأرض المقدسة التي جُبلت بدم الشهداء الذين حرروها من الحكم الروماني في زمن الفتح الإسلامي وهي نفس الأرض التي حررها الشهداء الأبرار، والقادة الغر الميامين من قبضة التتار وغزوات الصليبيين، وحافظوا على ميزاتها العربية والإسلامية، ويرى المواطن الفلسطيني المعاصر بأن دوره هو ذلك الدور المكمل لدور من سلفه من القادة الوطنيين والشهداء الأبرار الذين طردوا زحف المحتلين وتقول المرويات الشعبية بأن تحرير فلسطين واجب يمليه الواجب والالتزام بالمعتقدات الدينية الجهادية، فضلاً عن أنه شرف يقوم به الأبطال حماة العرض والأرض والدين، وأن معركة التحرير هذه تمتزج فيها قيم شتى: قيم الدين وقيم البطولة وقيم الشهامة [١].

وخلاصة القول بان الفلكلور الذي عبّر عن هموم مجتمع صغير، مغلق، ومنعزل في قرية في الريف الفلسطيني، وجد نفسه في عهد المقاومة والثورة الوطنية المتجددة منذ عام ١٩٢٠ بحاجة لتجديد أدواته ليعبر عن شخصية الشعب التي تتبلور وتتجدّد، الشعب نفسه انتقل من مرحلة الصراع مع الإقطاعيين والزعامات المشيخة القديمة إلى الصراع مع عدو تشترك كل فئات الشعب في ضرورة مقاومته، وضرورة وجود لغة مشتركة يفهمها كل الناس، ويتحدون وراء مضامينها [٢].

الموال الفلسطيني

للموال الفلسطيني أهمية كبيرة في التراث الشعبي، حيث يعتني الشعب الفلسطيني به من خلال ما يقال في الغزل والمجال الوطني، ومواويل الدبكة التي تقال في الأفراح وقد يهتم الشباب بها، كما يرددونها أثناء العمل معبرين عن حفاظهم لها، والآلة الموسيقية المصاحبة للموال هي الشبابة واليرغول والربابة.

---

(١) عبد العزيز كتكت، **موسوعة الفلكلور الفلسطيني**. فقرة: فنان شعبي (عمان: د.ن، ١٩٨٨).
(2)http://www.dr-arzz.net/archive/index.php/t-1574.html

تطور جديد في مسار الأغنية

"الموال" من أشهر أنماط الأغنية الفلسطينية، ويطلق عليه البعض أغاني " الأوف " فيه يمزج الفلسطيني بين الأرض والحب والمرأة بصورة يمتزج فيها الوجد مع الأمل، و هذه منابع أصيلة أغنت الشعر الشعبي في فلسطين "والموال" الحديث المتطور عن "المواليا " عبارة عن بيت أو أبيات من الشعر الزجلي تبدأ بكلمة " أوف " وهذه الكلمة يقصد بها خلاصة الشوق والحنين ودلالة على عظم الرغبة في وصول الحبيب، كما أنها نوع من الحسرة على الماضي والأطلال وإن كان المغني يبدأ بتطييب خاطر الفتاة قبل التعرض لقضايا الحنين والبعد وقد ذكروا أن " المواليا " هو نفس النوع المعروف في الشعر العامي " بالموال " لأن أمثلته قد جاءت مزيجاً من ألفاظ معربة وأخرى غير معربة، وتعبر ظريف الطول، صفة شائعة في الأغنية الفلسطينية التي تستطرق إلى العشق والجمال ووصف المحبوب الوسيم الممشوق القوام، فالفتاة الطويلة الرقيقة هي أجمل أنواع النساء وإذا كان ظريف الطول يطلق كوصف للجمال (الشاب والفتاة) فإن أغاني " مشعل " اختصت بالحنين واللوعة والشوق و هي سريعة النغمات تقترب من الموال ومشعل في التراث الفلسطيني " الشاب المعطاء ذو القدرة والنخوة ".

ملاحظات على الأغنية الشعبية الفلسطينية

إن غناء الشعب الفلسطيني يمثل صورة حية وصادقة لواقع هذا الشعب من القديم وحتى الآن وبالرغم مما يمكن أن يوجه من نقد إلى موضوع أو محتوى الأغنية الفلسطينية خاصة في قدراتها المختلفة، ومراحل تطورها، فإنها كانت تعبيراً عن مراحل متميزة من حياة هذا الشعب، فظروف الإنسان الفلسطيني المميزة أبدعت وشكلت شخصيته النضالية على مدى نصف قرن من التمرس النضالي الذي أثر بدوره في الأغنية وجعلها شيئاً عادياً جداً، فالقمع التركي ثم البريطاني فالصهيوني من بعده أدى إلى تفجير البعث الشعري الفلسطيني بزخم وعنف لم يشهده الوطن العربي لسنين طويلة مما ساعد على إبقاء الأغنية الفلسطينية بمثابة الخيط الذي يبقي الروابط بين الناس والحنين في صورة أغانٍ تتلقفها الأذن وتنطق بها الألسن، و هذا يعني أن الأغنية أبقت على هوية الفرد الفلسطيني من الضياع، رغم التمزق والشتات

وأصبحت الذكريات بمثابة الأوتار التي تشد الفلسطينيين إلى ساعات من الدفء الصادق واللقاء ولو عن بعد، وعبر الأسلاك، وفوق حواجز الإرهاب والقمع والتنكيل في سويعات من أجل الرغبة وحب اللقاء على أنه يجب علينا أن نلاحظ على الأغنية الفلسطينية عدة أمور منها [١]: أن ترتبط الأغنية ارتباطاً واضحاً بالبيئة التي وجدت فيها وبالظرف الذي قيلت فيه قبل أن تصبح شائعة متداولة، ومن جانب آخر فإن معظم الأغاني الشعبية كانت تقع ضمن مواضيع الحب، إلا أن هذه الأغاني تحولت إلى أغاني مقاتلة نظراً لظروف الشعب الفلسطيني بعد انطلاقة ثورته، ومن أهم أناشيد الشعب الفلسطيني تتمثل معظم الأحيان بأناشيد الأفراح بالمدن والقرى واحتفالات الختان للأطفال [٢].

وكذلك الأناشيد والأشعار في منازل الفلاحين وخيام البدو وبالشوارع والمدن الكبرى وأخيراً أناشيد الفرح والحزن للمسلمين والمسيحيين كافة [٣].

وسائل الموروث الثقافي الشعبي في عملية التنشئة الاجتماعية

١) الأغاني الشعبية والتنشئة

المعنى الواسع للثقافة هو كل ما ينتجه مجتمع ما من إنتاج مادي ومعنوي، أي أن كل منتجات الإنسان في حياته اليومية والعملية والترفيهية تمثل الثقافة لذلك المجتمع أو لتلك المجموعة الإنسانية والمعنى الآخر هو المعنى الضيق للثقافة ويعني ما ينتجه الإنسان من إنتاج مادي ومعنوي، كما تعني تأثر ذلك المجتمع أو تلك المجموعة الإنسانية بالنتاج المادي والمعنوي لغيرها وتأثرها منه ومدى النقل الكامل والاستيعاب والتمثيل.

فإن عملية الثقافة على اعتبار خاصية الاستمرار في الثقافة نابعة بالضرورة من أن الثقافة نتاج للتراث المتراكم تاريخياً أو بمعنى آخر " أنها نتاج للتراث الاجتماعي الذي يرثه أعضاء المجتمع من الأجيال السابقة (٤)، وتتمثل هذه الثقافة في مراحل الأولى بأغاني المهد والحكايات الشعبية والألعاب الشعبية، وتساهم

---

(١) خليل حسونة. الأغنية والأغنية السياسية الفلسطينية. **مرجع سابق**. ص١٩-٢٦.

(٢) نمر سرحان. **أرشيف الفلكلور الشعبي الفلسطيني**. ج٢**ترجمة:**محمود عوض. ط١ (عمان: بدون، ١٩٨٥) ص٨.

(٣) أحمد أبو زيد. **البناء الاجتماعي:مدخل لدراسة المجتمع**.ط٧(الإسكندرية: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨) ص١٨٦.

(٤) أحمد أبو زيد.. **مرجع سابق**، ص١٩٠.

الأغاني الشعبية في عملية التنشئة من خلال مراعاة مجموعة من الاعتبارات والمعايير التالية:- [1]

١) تتميز الأغاني الشعبية بالروح التلقائية فهي لم تنشأ نشأة إرادية ولكنها نشأت من خلال تفاعل البشر مع بعضهم البعض في نطاق اجتماعي معين، هذا التفاعل نجد تعبيره في العادات والتقاليد والأغاني ومن ثم يمكننا القول بأن الأغنية الشعبية تتصل بروح المجتمع أساساً وتعكس طبيعته.

٢) أن الأغنية الشعبية عادة ما تعبر عن الحس الشعبي وليس عن عقلية أو أحاسيس الصفوة الاجتماعية ومن ثم تتميز الأغنية الشعبية بالبساطة ؛ لأن البسطاء من البشر في حياتهم هم الذين ابتكروا كلماتها وأبدعوا ألحانها، وبهذه الطبيعة نجد أن الأغنية الشعبية تعبر عن المجتمع في حالة بساطته واسترخاءه ولما كان الطفل يمثل الكائن البسيط الذي لم يدخل معترك وتعقيدات الحياة الاجتماعية بعد فإننا نجدها ذات تواصل وعقليته البسيطة وأحاسيسه وعواطفه وهو الأمر الذي يخلق اتصالاً بين الطفل وروح المجتمع من خلال الأغنية الشعبية.

٣) أن الأغنية الشعبية عادة ما تستخدم اللحن الشعبي الذي يثير العواطف والمشاعر فهي لا تخاطب العقل، وإنما تتفاعل مع الحس العامي البسيط، من ثم نجد أنها الأكثر تأثيراً في عالم الطفل الذي قد تستند حركاته وتفاعله على أنغام أو تفاعلات هذه الأغنية، وأيضاً لأن الجوانب العاطفية والشاعرية هي الجوانب الأقوى في الطفل، ومن ثم تكون الأغنية الشعبية متصلة بروح الطفل وروح المجتمع.

٤) من ناحية المعاني لا تتطلب الأغنية الشعبية ذات الطابع العاطفي تفكيراً في المعاني وإنما هي تدفع ببعض المعاني البسيطة إلى الطفل مستغلة بذلك الصور الخيالي والتصورات المتفائلة التي تشيع في النفس بهجة وسروراً، ومن ثم نجد أن الطفل يستوعب مضمونها أو يتواصل ذاتياً مع الأغنية، حتى من خلال اللحن لأنها الأكثر بساطة كطبيعته والأكثر عاطفية كذاته، هذا إلى جانب أنها من خلال الخيال الذي يحقق عالماً جديداً يعيش فيه الطفل.

١) أغاني الأطفال والتنشئة:

تعتبر أغاني الأطفال أقدم الأغاني الشعبية وأوسعها انتشاراً وهي تتشابه فيما بينها من حيث اللغم والمضمون بين الثقافات في شتى بقاع العالم، وأثبتت بشكل

---

(١) سبيكة الخاطر. **التنشئة الاجتماعية في أغاني الأم القطرية** (قطر: دار الكتب القطرية ، وزارة الإعلام، ١٩٩٢) ص٣١.

واضح العلاقة بين الثقافة الراقية " الرسمية والثقافة الشعبية " وهي من أغنى المصادر التي تحفظ لنا بقايا معتقدات وممارسات ومناسبات درست ولم يعد لها وجود في عالمنا الحاضر.

ومن أوجه الأهمية الكبيرة التي تحفزنا إلى ضرورة الاهتمام بتسجيل أغاني الأطفال ودراستها وتحليلها:

أ. تتميز أغاني الأطفال الشعبية بوضوح ارتباطها الاجتماعي فهي تعبير حي واضح عن المجتمع وهو ما يمكن أن نسميه تراثاً شعبياً بالمعنى الصحيح.

ب. كشفت الدراسات السابقة لأغاني الأطفال (العربية والأوروبية على السواء بوضوح شديد عن صفة الاستمرار عبر الزمن على نحو ما يمكن أن يمتد عبر مئات أو آلاف السنين أحياناً، وهي تشبه في ذلك أغلب عناصر التراث الشعبي المتصل بالطفل.

وتتميز أغاني الأطفال من الناحية الشكلية بأن الإيقاع هو الذي يلعب الدور الحاسم فيها وهذا يفسر لنا طبيعة العلاقة الوثيقة بين أغاني الأطفال والألعاب الشعبية وكذلك بين أغاني الأطفال والرقص الشعبي، كما تتميز أغاني الأطفال بالقافية الواضحة التي تستبدل بها أحياناً السجع أو الجناس (١).

وقسمت أغاني الأطفال من حيث المضمون إلى أربع فئات كبيرة هي:

١) الأغاني التي تتردد في أثناء التعامل بين الطفل والكبار المحيطين به، مثل أغاني المهد أغاني ملاعبة الطفل.

٢) الأغاني التي تردد من خلال تعامل الطفل مع البيئة وخاصة البيئة الطبيعية المحيطة به،مثل أغاني المطر، أغاني الطفل للشمس والقمر.

٣) أغاني تنشأ نتيجة التفاعل بين الطفل والمجتمع المحيط به في مناسبات مختلفة " أغاني الختان الزواج، أغاني رمضان " (٢).

الخلاصة:

التراث بمفهومة العام هو محصلة للتطور التاريخي لأي مجتمع من المجتمعات وبالذات المجتمع الفلسطيني على كافة الأصعدة سياسياً واجتماعياً وثقافياً ومعنوياً ووطنياً، ويمثل الهوية الثقافية للشعب الفلسطيني، وبدونه يضمحل ويتفكك داخلياً، وقد يندمج ثقافياً في أحد التيارات الحضارية والثقافية العالمية القوية، كما يمثل الدرع

---

(١) محمد الجوهري وآخرون. **الطفل في التراث الشعبي: في كتاب الطفل والتنشئة الاجتماعية** (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٩) ص٦٤.

(٢) توفيق كنعان. **الأولياء والمزارات الإسلامية في فلسطين**. منشورات وزارة الثقافة الفلسطينية (رام الله: دار النشر الفلسطيني، ١٩٩٨) ص٢٥.

الواقي للكيان الثقافي الفلسطيني وحمايته من أخطار الغزو الفكري وصموده أمام التحديات المصيرية التي يواجها، ومن الضروري أن نعتني بالتراث بروح المسئولية القومية وإحياء القيم والمبادئ ما يجعل هذه الأمة تفخر بإبداعها الأدبي والفني والثقافي والتراث ليس خيراً كله وليس شراً كله ، كما أن التراث له علاقة بمفاهيم أخرى كالتراث الشعبي الذي يساهم بحفظ الهوية الوطنية الفلسطينية لان التراث الشعبي هو اصدق ما يقال لأنه يخرج عفوياً ولا يعرف صاحبه، كما أن التراث والفولكلور يتفقان في أنهما ينحدران من الماضي ولكن الفولكلور لازال يتطور، أو يعيش في المجتمع ويتفاعل معه، وهو ملتصق بالثقافة الشعبية التي تنتقل من جيل إلى آخر شفاهة كما أن الفولكلور يمتاز بفنيته وتعبيره عن الهوية الوطنية وهناك فروق بين التراث وكلاً من النص والتاريخ والأنثروبولوجيا.

وبوادر الاهتمام بالتراث في فلسطين بدأت بعد الحرب العالمية الأولى، كما أن التراث الشعبي الفلسطيني وجد في الرحلات العربية، ولا تنفصل الثقافة الشعبية الفلسطينية عن الثقافة الشعبية الكنعانية (بلاد الشام) بل ترتبط ارتباطاً خاصاً بها من هنا تعددت أنماط التراث الفلسطيني إلى أربعة أنواع:

١- التراث الفكري أو الذهني يتمثل في العادات والتقاليد (الولادة والأعراس والموت) والمواسم والأعياد ووسائل التسلية أو الترويح عن النفس كالألعاب الشعبية.

٢- التراث المادي يضم كل الثقافة التي ترى بالعين ومنها المواقع التاريخية والأثرية ويضم الأسوار والقلاع والحصون، ويضم المساجد والكنائس وقبور القديسيين والأولياء والصالحين، ويضم كذلك أنماط البناء وهندسته وفنه وتخطيطه، و" القصبة " والسوق والخان والبئر و"السبيل " والحي و" الحوش " والمنزل وأعمدته وقناطره ونوافذه ، وهو وصف لأشكال وأحجام الأدوات التي يستعملها الشعب في حياته اليومية (أدوات الطعام والشراب وأدوات الحرف والمهن وغيرها، وأشكال وهندسة القرى والبيوت (المنشآت العمرانية من مسكن ومنشآت عامة) ، ويضم أيضاً الأزياء الشعبية كالكوفية والعقال والقمباز والسروال، ووسائل الزينة من كحل وحنا... والمطبخ الشعبي التقليدي وأدواته، والفنون التشكيلية، ويضم الحرف والصناعة التقليدية التي تعتمد على المواد الخام المحلية.

٣- التراث الفني: ويشمل الغناء والموسيقى، والعزف، والألحان، والآلات الموسيقية والدبكات والرقصات، والأهازيج والتهاليل، وأغاني الأفراح وأغاني العمل وأغاني المناسبات الدينية بالإضافة إلى الزجل والشعر العامي الذاتي وغيرها.

٤- التراث اللفظي:وهو ما يتعلق بالألفاظ التي ورثناها عن أجدادنا واللهجات العامية التي نستخدمها والأمثال والحكايات والحزازير الشعبية التي نرددها في حياتنا اليومية.